روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

أفعى برشلونة

٥٥

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة

٥٥

الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

أفعى برشلونة

- هل نجحت دونا (ماريانا) فى القضاء على (أدهم) و (منى) ؟
- كيف ينجح (قدرى) وحده فى قتال الأفعى وعصابتها ؟
- أهى نهاية (رجل المستحيل) ؟ أم هى جولة جديدة مع أنياب أفعى (برشلونة) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : الفهد الأبيض

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ الاستجواب ..

جلس مأمور قسم الشرطة الصغير فى (برشلونة) ، يتطلَّع فى سخط وغضب إلى الشرطى الواقف أمامه ، والذى يبدو فى ملامحه مزيج من الخجل ، والقلق ، والارتباك ، والذى انتفض جسده فى توتُّر ، حينما هتف المأمور فى حَنَق :

ــ أهذا ما تعلَّمته فى أكاديمية الشرطة الإسبانية أيها الأحمق ، أن تسلِّم سيارتك الخاصة لأى شخص يرتدى ثياب الشرطة ، ويتحدَّث إليك فى صرامة ؟

ارتبك الشرطىّ ، وهو يغمغم فى تلعثم :

ــ لقد كان يبدو واثقًا ، حازمًا ياسيِّدى ، حتى أننى ....

قاطعه المأمور فى سخط :

ــ كان ينبغى أن يسلِّمك أمرًا مكتوبًا ، وممهورًا بتوقيعى أيها الغبىّ .

خفض الشرطى عينيه ، وأطرق برأسه فى خجل واعتراف بالذنب ، فلوَّح المأمور بذراعه فى غضب ، وهو يقول :

ــ ستحاكم من أجل ذلك ، وستلقَّى أقسى عقوبة ممكنة .

غمغم الشرطى فى شحوب :

ــ نعم يا سيِّدى .

زفر المأمور فى قوة ، وقال بعد لحظة من الصمت :
ـ وماذا عن ذلك البدين ؟.. هل اعترف ؟
غمغم الشرطى :
ـ إنه يرفض النطق بكلمة واحدة يا سيِّدى .
التقى حاجبا المأمور فى غضب ، وقال فى حِدَّة :
ـ من يظن نفسه ؟
ثم نهض من خلف مكتبه ، وقال فى صرامة :
ـ سأجبره أنا على النطق .
وفى خطوات سريعة عَبَر حجرته ، واجتاز رَدهة القسم إلى حجرة جانبية ، اقتحمها فى خشونة ، وتطلَّع فى صرامة إلى الرجل البدين ، الذى يجلس هادئًا ، على الرغم من الأغلال الحديدية ، التى تحيط بمعصميه ، والذى رفع عينيه إلى المأمور فى مزيج من الاستهتار والسخرية ، مما دفع المأمور إلى أن يصرخ فى غضب :
ـ من أنت أيها الرجل ؟
ابتسم البدين فى هدوء ، وقال :
ـ لست أتحدَّث الإسبانية بطلاقة ، وكل ما أستطيع قوله هو أن اسمى (قدرى) ، وأنا سائح مصرىّ هنا ، وأنتم ترتكبون خطأً رهيبًا باحتجازى دون جريرة .
عاد المأمور يصرخ بكلمات ساخطة ، متوعِّدة ، ولكن

(قدرى) لم يفهم كلمة واحدة منها ، بل إنه لم يحاول ذلك ، فلقد كان عقله شاردًا ، وذهنه يسبح مع ذكريات تلك الرحلة ، التى قادته مع (أدهم) و (منى) إلى هذا الموقف ..
تذكَّر كيف بدأ الأمر بثلاثة تذكرات أهداها الدكتور (أحمد صبرى) من (السويد) ، لشقيقه (أدهم) ، لقضاء رحلة رائعة ، على متن (عروس المتوسِّط) ، أشهر سفينة سياحية وأفخمها فى العالم كله ، وكيف أن (أدهم) دعاه و (منى) لمشاركته فى رحلته ، وهم يتوقَّعون إجازة هادئة ممتعة ..
ولكن يبدو أن العواصف كلها تجتمع ، حيث يوجد (أدهم صبرى) ..
لقد تحوَّلت الإجازة الممتعة إلى سلسلة لانهائية ، من المخاطر ، والصراعات ، والدَّمار ..
وتذكَّر (قدرى) كيف بدأ الأمر على ظهر السفينة ، حينما تقابل (أدهم) مع اثنين من أعوان (تيدى فولسونج) ، زعيم (سكوربيون) الجديد ، ومالك (عروس المتوسِّط) ، الذى أعدَّ هذا الفخ لهم ، وكيف حاول (بن كريم) خداعهم فى (تونس) ، وكيف نجوا بأعجوبة من قتال مع مائة رجل ، فى أحد أزقة (تونس) الضيقة ..

ثم انتقلت المعركة إلى (برشلونة) ، حيث استعان (فولسونج) بـ (دونا ماريانا) ، شقيقة دونا (ماريا) ، التى أصرَّت على قتالهم ..

وقادت هذه الأفكار (قدرى) إلى سؤال أثار قلقه وحَيْرته ..

ماذا فعل (أدهم) بعد أن افترقا ؟..

هل عثر على (منى) ، التى اختطفتها (ماريانا) ؟..

وأين هما ؟..

أين (أدهم) و (منى)[*]؟

★ ★ ★

« لقد أغرقتهما كفأرين قذرين يا سنيور (فولسونج) » .

نطقت دونا (ماريانا) بهذه العبارة فى جذل ، وعيناها تتألقان فى مزيج من الشماتة والوحشية ، فحدَّق (فولسونج) فى وجهها بدهشة ، وغمغم فى قلق :

ـ هل أنت واثقة يا دونا ؟.. إن هذا الشيطان المصرى كالقطط ، يمتلك سبعة أرواح .

(*) لمزيد من التفصيل ، راجع الجزء الأول (رحلة الهلاك) .. المغامرة رقم (٥٤) .

أطلقت (ماريانا) ضحكة عالية ، وقالت :

ـ يبدو أنه استهلك الأرواح الستة الأولى ، قبل أن نلتقى يا سنيور (فولسونج) .

حاول (فولسونج) أن يبتسم ، إلا أن الشك عاد يعربد فى أعماقه ، فغمغم :

ـ هل رأيتِ جثتيهما يا دونا ؟

قلَّبت (ماريانا) شفتيها فى امتعاض ، وقالت :

ـ لِمَ ترفض تصديق الأمر ؟.. هل يبعث ذلك الشيطان المصرى (السابق) ، كل هذا الرعب فى أعماقك ؟

زفر (فولسونج) فى ضيق ، وقال :

ـ يقول أصدقاؤنا فى (الموساد) ، إن الوسيلة الوحيدة للتأكد من مصرع (أدهم صبرى) ، هى رؤية جثته .

حَدَجته (ماريانا) بنظرة باردة ، ثم أشارت إلى شقيقها (ماريو) ، الذى تغطَّى نصف وجهه بالضمادات ، بعد صراعه السابق مع (أدهم) ، وقالت فى لهجة آمرة :

ـ مُرْ الرجال بإفراغ المياه ، وإحضار جثتى (أدهم) وزميلته يا (ماريو) .

أسرع (ماريو) ينفِّذ الأمر ، فى حين نهضت هى ،

وأفرغت بعض الخمر فى كأسين من البلّور ، ناولت إحداهما لـ (فولسونج) ، وأحاطت الأخرى بكفّيها ، وهى تقول فى هدوء :

ـــ أنا أيضًا أكره (أدهم صبرى) هذا ، وأكره أكثر زميلته (منى) ، فقد تسبّبا فى مصرع شقيقتى الكبرى (ماريا) ، منذ عامين ، ولقد نجحت أنا فى اختطاف الفتاة ، وعرّضتها لأساليب تكفى لقتلها رعبًا ، لولا أن نجح هذا الشيطان المصرى فى اقتحام قصرى ، منتحلاً شخصية رجل شرطة ، وأمكنه السيطرة على الموقف ، وأجبرنى على قيادته إلى القبو ، الذى أضع فيه زميلته ، ولكننى نجحت فى الإفلات منه ، وسجن هو نفسه داخل القبو ، فما كان منّى إلّا أن ملأت القبو بالمياه ، عَبْر فتحة التهوية ، وتركته يغرق مع زميلته اللعينة ، كما تغرق الفئران .

كانت تتحدّث فى شماتة ، وعيناها تتألّقان فى ظفر وشهوة ، حتى أن (فولسونج) نفسه شعر بالاضطراب ، وهو يغمغم :

ـــ ألا يمكنهما الفرار من الغرق ؟

أطلقت ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

ـــ كيف يا سنيور (فولسونج) ؟.. لا يوجد للقبو سوى

مخرجين ، الباب الفولاذى ، وأنا أترك رجلين لحراسته منذ أمس ، ولديهما أوامر مشدّدة بإطلاق النار ، إذا ما حاول أحدهم فتح الباب .. وهناك فتحة التهوية ، وهى صغيرة حتى أنها لا تكفى إلّا لعبور هِرّة صغيرة ، فمن أين يمكنهما الفرار ؟

وازداد تألّق عينيها ، وهى تقول فى شراسة :

ـــ اطمئن يا سنيور (فولسونج) ، لقد انتهى الشيطان المصرى وزميلته تمامًا .

★ ★ ★

أخذ (فولسونج) يتطلّع إلى ساعته فى ملل واضح ، وارتباك ملحوظ ، مما حدا بـ (ماريانا) إلى أن تسأله فى دلال :

ـــ ماذا دهاك يا سنيور (فولسونج) ؟ هل الحديث معى مملّ إلى هذا الحد ؟

هتف (فولسونج) فى توتّر :

ـــ لا .. لا .. ألبتة يا دونا .. وإنما كنت أفكّر فى (ماريو) ، الذى لم يعد منذ نصف ساعة ، وأخشى أن ....

قاطعه فى تلك اللحظة صوت (ماريو) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لا تخشَ شيئًا يا سنيور (فولسونج) .. هأنذا .

سألته (ماريانا) فى جِدَّة :

ـ لماذا تأخرت يا (ماريو) ؟

لوَّح بذراعه ، وهو يقول :

ـ كنا ندفن جثتى ذلك الشيطان ورفيقته يا (ماريانا) .

تألقت عيناها ، وهى تقول فى ظفر :

ـ إذن فقد قضيا نحبهما .

أما (فولسونج) ، فهتف فى حَنَق :

ـ لماذا لم تدعْنى أراهما أوَّلاً ؟

قلَّب (ماريو) شفتيه ، وقال :

ـ لم يكن منظرهما ليرُوق لك يا سنيور ، ثم إنك أردت التأكد من مصرعهما فقط .. أليس كذلك ؟

تردَّد (فولسونج) لحظة ، ثم غمغم :

ـ ولكن .. ربَّما !!

قاطعه (ماريو) فى سخرية :

ـ ربَّما ماذا ؟.. هل تظن أن أحدًا تسلَّل إلى القبو ، وأغرق نفسه بدلاً منهما ؟.. أم تظنهما انكمشا مع كثرة المياه ، فأمكنهما عبور فتحة التهوية الصغيرة ؟

ارتبك (فولسونج) لحظة ، ثم تبيَّن له صحة منطق (ماريو) ، فتنهَّد فى ارتياح ، وقال :

ـ إذن فقد قضى الشيطان أخيرًا ! .. يا إلٰهى !!.. لقد حقَّقنا معجزة يا عزيزتى (ماريانا) .

ثم نهض من مقعده ، فسألته (ماريانا) فى هدوء :

ـ إلى أين يا سنيور (فولسونج) ؟

ابتسم فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ سأذهب مع مساعدى (هنريك) إلى (عروس المتوسِّط) يا دونا ، وسأكمل معها الرحلة ، حول موانى البحر المتوسِّط ، فأنا أحتاج إلى قدرٍ كبير من الراحة ، بعد أن انتهى ذلك الكابوس .

غمغمت (ماريانا) فى نصر :

ـ نعم .. انتهى كابوس الشيطان المصرى .. كابوس (أدهم صبرى) .

* * *

٢ ـــ ونهضت العنقاء من الرماد ..

وقفت (ماريانا) خلف نافذتها الزجاجية ، تتأمل الهليوكوبتر الخاصة بـ (تيدى فولسونج) ، وهى ترتفع مبتعدة عن ساحة القصر ، ثم غمغمت فى ارتياح ، دون أن تلتفت إلى شقيقها (ماريو) :

ـ لقد حققنا معجزة حقًا يا (ماريو) .

خُيِّل إليها أن صوته يحمل رَنَّة ساخرة ، وهو يغمغم فى هدوء :

ـ حقًا ؟!

ولكنها تجاهلت رَنَّة السخرية هذه ، لثقتها فى استحالة صدورها من (ماريو) ، وعادت تستطرد فى هدوء :

ـ هل تعلم يا (ماريو) أننا سندخل التاريخ ؟ فقد نجحنا فيما فشلت فيه عدة منظمات قوية ، مثل (المافيا) ، و (سكوربيون) ، وأجهزة مخابرات عنيفة كـ (الموساد) ، و (الكى. جى. بى) ، و (السى. آى. إيه) .. لقد نجحنا نحن وحدنا فى قتل (أدهم صبرى) .

مرة أخرى خُيِّل إليها أن صوته يحمل رَنَّة ساخرة ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. لقد حققنا معجزة يا (ماريانا) .

عقدت (ماريانا) حاجبيها فى شدة ، وغمغمت فى همس :

ـ هل من الممكن ؟.. لا .. مستحيل !!

سألها (ماريو) فى هدوء :

ـ ماذا تقولين يا أختاه ؟

التفتت إليه فى حِدَّة ، وحَدَجَتْه بنظرة عجيبة ، ثم ابتسمت ابتسامة عصبية ، وقالت :

ـ لا شىء يا عزيزى (ماريو) .. لا شىء .. كنت أحادث نفسى فحسب .

ثم التقطت حقيبتها الصغيرة ، وهى تستطرد فى مرح عصبى عجيب :

ـ كنت أتساءل أين وضعت قدّاحتى و .... ؟

وفجأة .. التقطت من حقيبتها مسدسًا ، وصوَّبته إلى صدر (ماريو) ، وهى تقول فى حِدَّة :

ـ قد تتهمنى بالجنون يا (ماريو) ، ولكننى أريد منك أن تنزع الأربطة والضمادات عن وجهك .. الآن .

هتف (ماريو) فى دهشة :

ـ (ماريانا) ؟!.. ماذا تقولين ؟.. هل جُنِنْتِ ؟



وفجأة .. التقطت من حقيبتها مسدَّسًا ، وصوَّبته إلى صدر (ماريو) ..

صرخت فى غضب وتوتُّر :

ــ الآن يا (ماريو) .. الآن أو أطلق النار على رأسك دون تردُّد .

وفجأة .. تبدَّلت لهجة (ماريو) ، وانقلبت إلى لهجة ساخرة عجيبة ، وتألَّقت عيناه ببريق عابث ، لم تألفه (ماريانا) أبدًا ، وهو يقول :

ــ حسنًا يا عزيزتى (ماريانا) .. لقد انكشف الأمر ، ولن أتمادى فى تمثيل هذا الدور السخيف .

تراجعت (ماريانا) فى ذهول ، وارتعش صوتها ، وهى تهتف :

ــ هذا مستحيل !! مستحيل !! إنك .. إنك ....

وفجأة .. شعرت بفوَّهة مسدَّس باردة تلتصق بمؤخرة عنقها ، وسمعت صوت (منى) الساخر يقول :

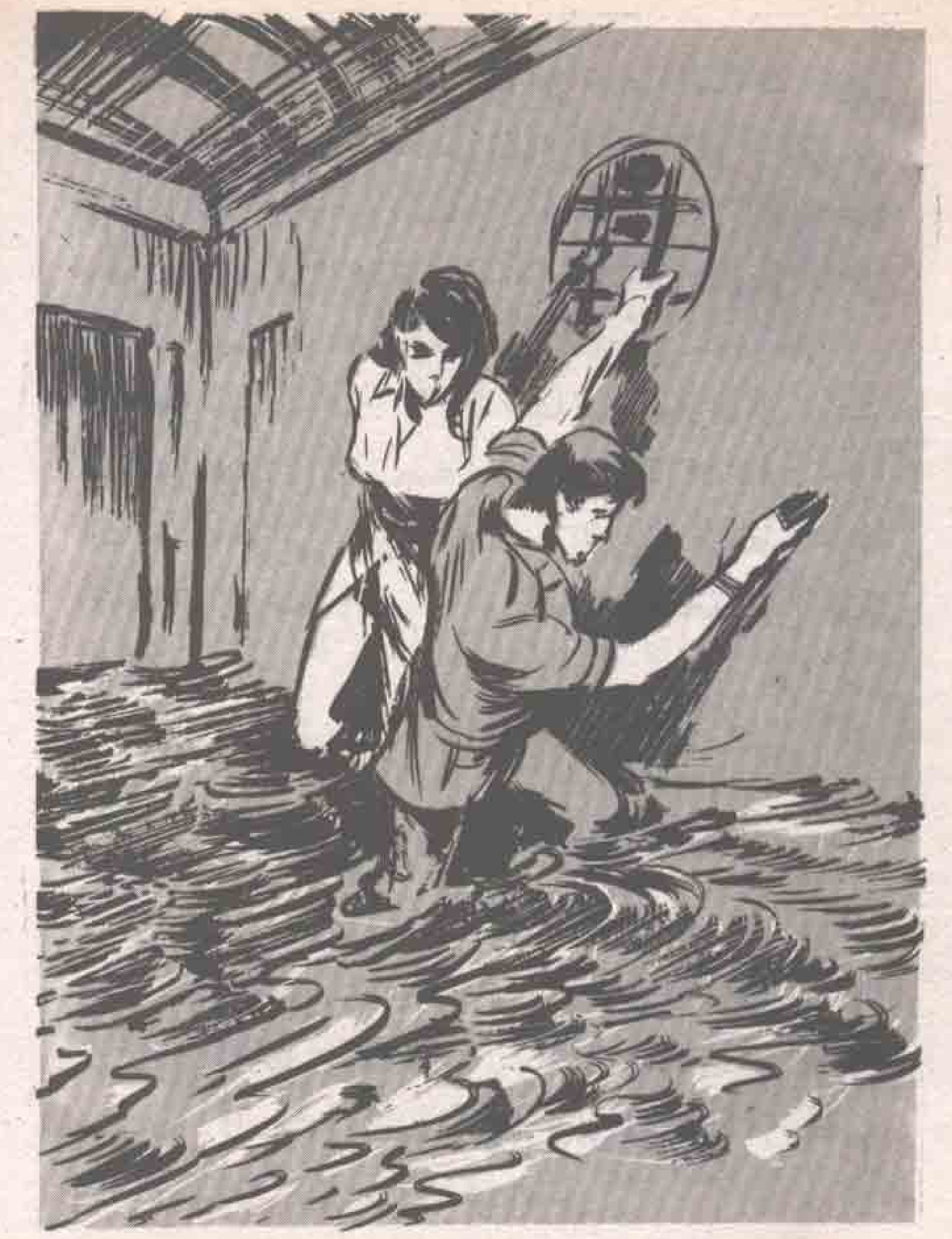
ــ نعم يا أفعى (برشلونة) .. إنه (أدهم صبرى) .

★ ★ ★

على الرغم من أن هذا ما كانت تتوقَّعه (ماريانا) تقريبًا ، إلَّا أن المفاجأة جاءت أكبر وأقوى مما تحتمل ، فانهارت فوق مقعدها ، دون أن تدير رأسها إلى (منى) ، وهى تغمغم فى ذهول رهيب :

ـ مستحيل !! كيف حدث هذا ؟.. كيف نجوتما ؟
تنهّد (أدهم) ، وهو يقول :
ـ صدّقينى ، لم يكن ذلك سهلاً يا (ماريانا) .
وقلّب شفتيه لحظة ، قبل أن يستطرد فى هدوء :
ـ لقد كان من الواضح أن غرقنا أمر محتم ، لا أمل فيه للنجاة ، والماء يرتفع حولنا فى سرعة ، ويملأ القبو ، وكان من الواضح أيضًا أن فتحة التهوية أصغر من أن تسمح بفرارنا ، ولكنها كانت ترتفع خمسة أمتار ، وهذا ما أنقذنا .
ثم ابتسم وهو يردف ضاحكًا :
ـ لقد أنقذتنا نظرية الأوانى المستطرقة .
غمغمت (ماريانا) فى ذهول :
ـ نظرية ماذا ؟
ابتسم (أدهم) وهو يقول :
ـ الأوانى المستطرقة يا عزيزتى الأفعى .. إنها نظرية فيزيائية ، تقول إن الماء يتخذ منسوبًا واحدًا مهما اختلف شكل الآنية الموضوع بها ، مادامت قواعد هذه الآنية متصلة بعضها ببعض ، والماء يسبح من إحداها إلى الأخرى .
اختلط ذهول (ماريانا) بالتساؤل ، فأردف (أدهم) :

ـ يبدو أنك حملت إلينا الماء من حوض السباحة الخاص بك أيتها الأفعى ؛ لذا فقد ظلّ الماء يرتفع فى القبو ، حتى بلغ ارتفاع الماء فى حوض السباحة ، فتوقّف تدفُّق المياه ، حينما وصل سطحها إلى ارتفاع أربعة أمتار وتسعين سنتيمترًا داخل القبو ، وبقيت لدينا عشرة سنتيمترات لنتنفُّس أنا و (منى) ، إلى أجل غير محدود .. كما كان علينا أن نسبح طوال الوقت لنتفادى الغرق ، إلّا أن مستوى فتحة التهوية كان يعلونا ؛ لذا فقد حللت حزامى ، وربطته فى فتحة التهوية ، ثم ربطت طرفه الآخر حول وسط (منى) ، وتعلّقت أنا بفتحة التهوية يومًا كاملاً .
غمغمت (ماريانا) ، وذهولها يتضاعف :
ـ مستحيل !!
هزّ (أدهم) كَتِفيه ، وقال :
ـ لقد قلت هذا لنفسى ، بعد أن مضت أربع وعشرون ساعة ، وأنا متعلّق بفتحة التهوية .. لقد قلت لحظتها إنه من المستحيل أن أظل هكذا للأبد ، ولكنك تعجّلت التأكد من مصرعنا ، فأمرت رجالك بإفراغ القبو من المياه .. وهكذا أنقذت حياتنا ، قبل أن يتملكنا اليأس .



ولكنك تعجَّلت التأكد من مصرعنا ، فأمرت رجالك بإفراغ القبو من المياه ..

وضحك أمام ذلك الألم والقهر ، اللذين ارتسما فى ملامحها ، وهو يتابع قائلاً :

ـ لا يمكنك أن تتصوَّرى مدى الذهول والرعب ، اللذين أصابا شقيقك ورجليك ، حينما فوجئوا بنا على قيد الحياة .. كانوا كمن رأى العنقاء(*) تنهض من وسط الرماد ، ولقد كان من اليسير استغلال ذهولهم ورعبهم ، وتحطيم وجوههم فى لحظات ، ثم ساعدنى حسن الحظ ، مع الضمادات التى يحيط بها شقيقك وجهه ، والشعر المستعار الذى يخفى به رأسه الأصلع ، على أن أنتحل شخصيته بسهولة .

غمغمت (ماريانا) فى صوت متحشرج حانق .

ـ هذا إذن هو سبب تأخر (ماريو) نصف ساعة !

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـ نصف ساعة ؟!.. إن انتحال شخصية هذا الوغد يستغرق عشر دقائق على الأكثر .

ثم ابتسم فى خبث ، وهو يقول :

(*) العنقاء : طائر أسطورى ، تحدَّث عنه الأقدمون ، ويقولون إنه كان يتحوَّل إلى شعلة من النار حينما يموت ، ثم يعود لينطلق حيًّا مرَّة أخرى من وسط الرماد المتخلِّف عن مصرعه ومحرقه .

ـ لقد استغرقت الوقت الإضافى لتبديل ملامح زميلتى ، مستخدمًا بعض أدوات الزينة الخاصة بك يا عزيزتى (ماريانا) ، وبعض العدسات اللاصقة ، التى تخفين بها ضعف بصرك ، فقد كان علىّ أن أؤمّن وسيلة فرار .

فجّرت عبارته فضولها ، فأدارت عينيها إلى حيث تقف (منى) خلفها .. ولم تكد تفعل حتى شهقت فى قوة وذهول ، ثم سقطت فاقدة الوعى ..

فقد كانت (منى) نسخة طبق الأصل من (أفعى برشلونة) .

* * *



٣ ـ الهروب ..

أفسح رجال دونا (ماريانا) الطريق فى احترام وهدوء ، أمام (منى) ، التى تنتحل شخصية زعيمتهم ، و (أدهم) الذى بدا فى هيئة شقيقها (ماريو) ، ولقد بدا الاثنان وكأنهما يناقشان أمرًا غايةً فى الأهمية ، وهما يخترقان صفوف رجال دونا (ماريانا) ، فى خطوات هادئة واثقة ، ولكن لو أن أحد هؤلاء الرجال اقترب منهما ، لسمع (منى) تغمغم فى توتر ، لا يتفق والابتسامة المرتسمة على شفتيها :

ـ يا إلٰهى !! .. يخيّل إلىّ أننى قطعة من الطعام ، تسير وسط صفين من الأسنان الحادّة ، وهى تتوقع أن تُطبق عليها هذه الأسنان فى أيّة لحظة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى صوت خافت هادئ :

ـ اطمئنى ياعزيزتى .. ما هى إلّا خطوات ، ونجتاز هذا الموقف السخيف .

غمغمت فى قلق :

ـ وماذا لو أن أحدهم تقدّم منّى ، وسألنى سؤالاً ما ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـ دَعِينى أجب بدلاً منك يا عزيزتى .

كانا قد اقتربا فى أثناء حديثهما من إحدى السيارات ، ففتحها (أدهم) ، وهو ينحنى مغمغمًا فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ تفضل يا أميرتى .

ابتسمت (منى) ، وهى تتخذ المقعد المجاور للسائق ، فى حين اتخذ (أدهم) مقعده ، أمام عجلة القيادة ، وأدار محرِّك السيارة ، فهرع إليه رجل يحمل مدفعًا رشاشًا ، وقال فى اهتمام :

ـــ هل ستخرج دونا (ماريانا) لنزهة قريبة يا سنيور (ماريو) ؟

أجابه (أدهم) فى خشونة :

ـــ وما شأنك أنت ؟

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

ـــ إنها الأوامر يا سنيور (ماريو) .. لابدَّ أن يصحبكما طاقم الحراسة .. أليس كذلك يا دونا ؟

ارتبكت (منى) بدورها ، وهى تبحث عن جواب مناسب ، ولكنها قبل أن تفتح شفتيها ، ارتفع صوت دونا (ماريانا) ، عَبْرَ مكبِّر صوتى قوىّ ، تهتف فى توتُّر وغضب :

ـــ هنا دونا (ماريانا) .. زعيمتكم الحقيقية .. لقد فرَّت فتاة المخابرات المصرية ، وزميلها الشيطان .. إنهما ينتحلان شخصيتى ، وشخصية (ماريو) .. لاتسمحوا لهما بالفرار .. اقتلوهما .. أُكرِّر .. اقتلوهما بلا رحمة .

★ ★ ★

فجَّرت صرخة (ماريانا) ذهول رجالها ، فالتفتت أعينهم نحو (أدهم) و (منى) ، ثم ارتفعت فوهات مدافعهم الرشاشة إلى سيارتهما ، وبخاصةً الرجل ، الذى كان يتحدَّث إلى (أدهم) منذ لحظات ، فقد رفع فوَّهة مدفعه الرشاش فى وجه بطلنا ، وهو يهتف فى مزيج من الدهشة والغضب :

ـــ لهذا لم تفهمنى أيها المزيَّف .

وفجأة .. دفع (أدهم) باب السيارة فى وجه الرجل ، بكل ما يملك من قوة ، وضغط فى الوقت نفسه دوَّاسة الوقود ، واعتصره فى أرضية السيارة ، التى انطلقت فجأة ، وعجلاتها تصرخ فى قوَّة ، وخلفها رصاصات رجال دونا (ماريانا) ، وكان على (أدهم) أن يستخدم مهاراته فى القيادة إلى أقصى درجة ..

وبدا الموقف عجيبًا ، حادًّا ، متشابكًا ، و (أدهم) يميل

بالسيارة يمينًا ويسارًا ، وينطلق بها إلى الأمام تارةً ، ثم ينحرف بها فجأة ، ويدور حول نفسه ، وينطلق مرّة أخرى ، ليتفادى الرصاصات التى تنهال كالمطر ، والتى حطّمت الزجاج الخلفى للسيارة ، وأصابت جسدها بجراح عنيفة ..

وأخيرًا .. لاحت لـ (أدهم) و (منى) بوّابة القصر ، واندفع نحوها (أدهم) بأقصى سرعة ، وهتفت (منى) فى ذعر :

ـــ ماذا ستفعل ؟.. هناك تيار كهربى قوىّ يسرى فى البوّابة ، وهى مصمّمة لاحتمال صدمات قويّة .. إننا لن ..

قاطعها (أدهم) فى صرامة :

ـــ كفى يا (منى) .. إننى أقود العملية .

حبست أنفاسها ، حينما انتزع من طيّات ثيابه مسدّسًا ، صوّبه بيُسْراه إلى البوّابة ، دون أن يخفّف من سرعة اندفاع السيارة ، التى يقودها بيُمناه فقط ، ولم تستطع (منى) منع نفسها من أن تهتف :

ـــ ماذا تفعل ؟

ولكنّ سؤالها تلاشى ، مع صوت الرصاصة التى انطلقت من مسدس (أدهم) ، نحو البوّابة الضخمة .

★ ★ ★

لا أحد يمكنه وصف ذلك الذهول ، الذى أصاب (منى)، حينما انفتحت البوّابة على مصراعيها ، أمام عينيها ، إثر رصاصة (أدهم) ، وشاركها ذهولها حارس البوّابة ، الذى أخذ يطلق رصاصات مدفعه الرشاش فى جنون ، حتى أصابت رصاصة (أدهم) كفّه ، وأجبرته على ترك المدفع الرّشاش ، وهو يصرخ ساخطًا متألّمًا ، وسيارة (أدهم) و (منى) تعبُر البوّابة المفتوحة ، إلى جواره تمامًا ، وتبتعد عن القصر فى سرعة مذهلة ..

وهتفت (منى) فى ذهول :

ـــ كيف فعلت ذلك ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء ، وهو يواصل انطلاقه بأقصى سرعة :

ـــ هناك زرّ إلى جوار حارس البوابة ، يمكنه فتحها على مصراعيها يا عزيزتى ، ولقد أطلقت الرصاص على هذا الزرّ .

سقطت فكّ (منى) السفلى ، وهى تحدّق فى وجهه ، وتغمغم فى ذهول :

ـــ أصبت زرًّا فى حجم القرش ، على بعد ثلثمائة متر تقريبًا ، وبرصاصة واحدة ، مستخدمًا يدك اليسرى ، وأنت تقود سيارة فى الوقت ذاته ؟!

ثم انتابتها فجأة موجة من الضحك ، وهى تهتف :
ـ يا إلٰهى !!.. كان ينبغى أن أدرك ذلك ، كان ينبغى أن أتعلَّم اعتياد ذلك ، من طوال عملى مع (رجل المستحيل) .. كان ينبغى ..
قاطعها (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :
ـ لم ينته الأمر بعد يا عزيزتى ، إن (ماريانا) ترفض قبول فكرة فرارنا بسهولة .
التفتت خلفها فى توتُّر ، وهى تقول :
ـ ولكن لا توجد سيارات تطاردنا يا (أدهم) .
ضاقت عيناه ، وهو يغمغم فى هدوء :
ـ ليست سيارات هذه المرَّة يا عزيزتى .
ولم يكد يتم عبارته ، حتى تنبَّهت (منى) إلى صوت الهليوكوبتر ، التى تندفع نحوهما فى إصرار ، ولم تكد تنتبه إليها ، حتى انهمرت رصاصات الهليوكوبتر على السيارة .

★ ★ ★

اتخذ (أدهم) مسارًا متعرِّجًا ، محاولاً تفادى رصاصات الهليوكوبتر ، التى طاردت السيارة فى إصرار وشراسة ، وهتفت (منى) ، حينما اخترقت رصاصة سقف السيارة ، وغاصت فى مقعدها ، على بعد سنتيمترات من جسدها :

ـ يا إلٰهى !!.. سيقتلوننا هذه المرَّة يا (أدهم) .
تطلَّع (أدهم) فى قلق إلى مؤشر الوقود ، وقال :
ـ يمكننا الفرار منهم لدقيقة أخرى يا (منى) ، وبعدها ستتوقَّف السيارة لنفاد الوقود ، وسنخسر كل شىء .
ثم عقد حاجبيه فى قوَّة ، وهو يتمتم :
ـ إلا إذا .....!
هتفت (منى) فى لهفة :
ـ إلا إذا ماذا ؟
استدار إليها ، وسألها فى صرامة :
ـ أيمكنك الانتقال إلى مقعد القيادة فى سرعة ؟
هتفت دون أن تفهم ما يعنيه :
ـ بالطبع .. ولكن .....
قاطعها وهو يتخلَّى عن عجلة القيادة ، وينتزع مسدَّسه :
ـ هيَّا إذن .
وفى نفس اللحظة كانت الهليوكوبتر تنقضّ على السيارة ، وقفز (أدهم) خارج السيارة ، وتعلَّق بالهليوكوبتر فى مهارة مذهلة ، جعلت قائدها يفقد السيطرة عليها لحظة ، فتميل مراوحها نحو الأرض ، قبل أن يتمالك جأشه ، فيعتدل ، ويرتفع بالهليوكوبتر ، هاتفًا فى توتُّر :

وتعلّق بالهليوكوبتر فى مهارة مذهلة ، جعلت قائدها يفقد السيطرة عليها .

— يا للشيطان !!.. كيف فعل ذلك ؟

وكانت (منى) تصرخ بالعبارة نفسها ، وهى تقفز إلى مقعد القيادة ، محاولةً السيطرة على السيارة ، وعيناها تتطلّعان فى ذهول إلى الهليوكوبتر ، التى ترتفع ، حاملةً معها (أدهم صبرى) ..

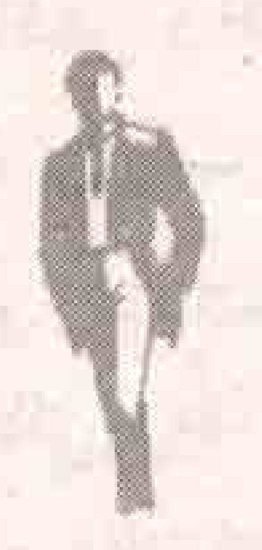
وبصرخة أخيرة ، توقّف محرّك السيارة ، بعد أن نفد وقودها تمامًا ، وخفق قلب (منى) ، حينما اختفت الهليوكوبتر فى الأفق ، وغمغمت فى توتُّر بالغ :

—(أدهم) !!.. إنك تبالغ يا (أدهم) .. تبالغ كثيرًا .

وانقبض قلبها فى قوّة ، حينما راودها شعور قوىّ ، بأن هذه الهليوكوبتر تحمل (أدهم) إلى المجهول ..

إلى الموت .

★ ★ ★



٤ ـ العقل أوَّلا ..

زاد قائد الهليوكوبتر من سرعتها إلى أقصى حدّ ممكن ، وهو يطلق ضحكة ساخرة ، ويهتف فى شماتة :

ـ تشبَّث جيّدًا أيها الشيطان المصرىّ ، سأجعل الرياح تمزِّقك إربًا ، ولن يتبقى منك إلّا فتات .

وفجأة .. اخترقت رصاصة أرضية الهليوكوبتر ، وعَبَرت سقفها ، فهتف قائدها وقد تلاشت سخريته ، وتحوّلت إلى غضب هائل :

ـ يالك من مكابر !! ويل لك منّى !! سأ ....

وابتلع الرجل باقى حروف آخر كلماته فى ذهول ، فقد رأى (أدهم) يخترق باب الهليوكوبتر الزجاجى الجانبى ، ويندفع إلى داخلها ، وتصلَّبت قبضتا قائدها ، وسقطت فكّه السفلى ، وجحظت عيناه .. ولقد أشفق (أدهم) على مظهره هذا ، فهوَى على فكّه بلكمة قوية ، أرخت قبضتى الرجل ، وأغلقت عينيه، وأسقطته فاقد الوعى، فى حين اختل توازن الهليوكوبتر، وبدا وكأنها ستهوِى من حالقٍ ، إلّا أن (أدهم) أزاح قائدها عن مقعده ، وقفز يسيطر عليها فى مهارة ، حتى استعادت

توازنها ، فاستدار بها عائدًا إلى حيث ترك (منى) ، وهو يغمغم فى سخرية :

ـ هزيمة أخرى لك يا دونا (ماريانا) .

ولقد بدت (منى) شديدة الفرح والسعادة ، حينما هبط إلى جوارها بالهليوكوبتر ، وألقى جسد قائدها الفاقد الوعى خارجها ، ثم عاون (منى) على الصعود إليها ، وعاد ينطلق بها ، وهو يقول فى مرح :

ـ ها هى ذى (ماريانا) تهدينا وسيلة مواصلات أنيقة يا عزيزتى .

ضحكت (منى) فى مرح ، وقالت :

ـ والآن إلى أين ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

ـ سنحاول أولًا استعادة رفيقنا (قدرى) ، ثم نلحق بـ (عروس المتوسِّط) قبل إقلاعها يا عزيزتى .

هتفت فى دهشة :

ـ هل تعنى أننا ....؟

أجابها فى هدوء :

ـ نعم يا عزيزتى .. سنكمل رحلة الهلاك

★ ★ ★

تردَّد الرجل ، الذى يقف أمام دونا (ماريانا) ، وهو يغمغم فى ارتباك :

ـــ لقد نجح فى الفرار ، واستولى على الهليوكوبتر بوسيلة شيطانية ، حتى أن قائدها لم ينجح فى ....

قاطعته دونا (ماريانا) فى غضب :

ـــ أى رجال أنتم ؟.. بل أى دُمَى أنتم ؟.. رجل واحد ينجح فى الاستيلاء على هليوكوبتر ؟!.. لو أنها طائرة ورقية لبات الأمر أصعب من أن ينجح رجل واحد فى الاستيلاء عليها .

غمغم الرجل فى حَنَق :

ـــ إنه ليس رجلاً عاديًا يا دونا .. إنه ....

قاطعه (ماريو) ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ إنه شيطان !!

التفتت (ماريانا) إلى شقيقها ، وهى تقول فى حِدَّة :

ـــ حتى الشياطين تحرقها نيران الجحيم يا (ماريو) .

صاح (ماريو) فى حَنَق :

ـــ إلَّا هذا .. أراهنك أن الشياطين نفسها تخشاه .

لوَّحت بذراعها فى وجهه ، وهى تقول فى غضب :

ـــ كَفَى يا (ماريو) .. كَفَى .

وعضَّت شفتيها ، وهى تستطرد فى سخط :

ـــ لقد أخطأنا فى التعامل معه يا (ماريو) .. الجميع أخطئوا فى أسلوب التعامل معه ، فالقوة ليست الوسيلة المثلى لهزيمة (أدهم صبرى) .

ثم أردفت فى عمق :

ـــ بل العقل أوَّلًا .. ثم القوَّة .

عقد (ماريو) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ ماذا تَعْنين يا دونا ؟

تنهَّدت (ماريانا) ، وقالت :

ـــ سنحاول الإيقاع بالشيطان المصرىّ وزميلته فى معركة ذكاء ، وليس معركة قوة يا (ماريو) .

ثم التفتت إلى شقيقها مستطردةً ، فى هدوء عجيب :

ـــ وستبدأ معركة الذكاء فى قسم شرطة (برشلونة) ، حيث سيتوجَّه بالتأكيد لإنقاذ زميله البدين .

وابتسمت فى شراسة ، وهى تردف فى وحشية :

ـــ وسيكونْ هذا البدين هو الطعم ، الذى سيُوقع بـ (أدهم صبرى) ، وزميلته الحسناء ، قاتلة شقيقتى .

* * *

«أريد مقابلة السنيور (قدرى)، فلقد كُلِّفتُ الدفاع عنه».

رفع مأمور قسم الشرطة عينيه فى توتّر، يتأمّل الرّجل الطويل القامة، المفتول العضلات، الممشوق القوام، الذى يقف أمامه، مرتديًا حُلّة سوداء أنيقة، ورباط عنق قرمزيًّا، وتبدو ملامحه الوسيمة الهادئة، بمنظاره الطبى الأنيق، والشعر الأشيب، الذى يصبغ فَوْدَيْهِ، وشاربه المهندم، وقفزت إلى رأس المأمور صورة (أدهم صبرى)، واستعادت أذناه تحذير دونا (ماريانا) من أنه يجيد التنكّر فى براعة .. فتحَسّس المأمور مسدّسه، وهو يتظاهر بالاسترخاء فى مقعده، مغمغمًا :

ـ ومن ذا الذى كلّفك الدفاع عنه ؟

أجابه الرجل فى هدوء ورصانة :

ـ من حقّى الاحتفاظ بهذا سرًّا، على ألّا أبوح به إلّا لموكّلى فقط أيها المأمور .

ابتسم المأمور فى سخرية، وهو يقول :

ـ هكذا ؟

ثم اعتدل فجأة، قائلاً فى حِدّة :

ـ ولكنك تتحدّث الإسبانية فى طلاقة عجيبة .

مطّ الرجل شفتيه، وقال :

ـ بالطبع .. فأنا إسبانى أبًا عن جَدّ .

ثم نصب قامته فى اعتداد، وهو يقول :

ـ يبدو أننى لم أقدّم نفسى .. أنا (ألبرتو بونتى) محامٍ .

وفى حركة سريعة، أخرج المأمور مسدّسه، وصوّبه إلى رأس الرجل، وهو يقول فى سخرية :

ـ أشك .. ما رأيك أن تنتزع شاربك المستعار، وتوقف هذه المهزلة .

تراجع الرجل فى دهشة، وهو يهتف فى استنكار :

ـ ماذا تفعل أيها المأمور ؟

تألّقت عينا المأمور فى جذل وظفر، وهو يقول :

ـ إننى أفسد خُطتك أيها المحامى .. أو بمعنى أدق أيها الشيطان (أدهم صبرى) .

وفى حركة سريعة، جذب شارب الرجل، وهو يجذب زناد مسدّسه .

* * *

٥ ــ الحرب خدعة ..

صرخة ألم سمَّرت أطراف المأمور ، وبعثت فى جسده برودة الثلج ، وجعلت عينيه تجحظان فى ذهول ..

صرخة ألم انطلقت من بين شفتى الرجل ، حينما جذب المأمور شاربه ..

ولقد كان الشارب حقيقيًّا ..

وتراجع المأمور فى ارتباك ، وهو يغمغم فى توتُّر وحَيْرة :

ــ معذرةً يا سنيور .. لقد ظننت أن ....

قاطعه المحامى صارخًا فى حَنَق :

ــ أقِسْمُ شرطة هذا أم مستشفى للأمراض العقلية ؟.. ماذا فعلت أيها المأمور ؟

لوَّح المأمور بذراعه ، مغمغمًا :

ــ إننى أعتذر .. لقد كنت أتوقَّع خدعة ما .. إننى أعتذر .

عقد الرجل حاجبيه فى غضب ، وقال فى صرامة :

ــ حسنًا .. هل يمكننى مقابلة الرجل الذى سأدافع عنه ؟

هتف المأمور فى انفعال :

ــ بكل تأكيد يا سنيور .. بكل تأكيد .

ثم أسرع يقوده بنفسه إلى زنزانة (قدرى) ، وانصرف فى خطوات سريعة ، تاركًا (قدرى) يحدِّق فى وجه الرجل بدهشة وتساؤل ، قطعهما المحامى بقوله :

ــ لقد كلَّفنى السنيور (دانى جارو) الدفاع عنك يا سنيور (قدرى) .

عقد (قدرى) حاجبيه فى دهشة ، وهو يبحث فى ذهنه عمَّن يدعى (دانى جارو) ، ثم لم يلبث أن تذكَّر أنه اسم رجل تحرٍّ خاص ، انتحل (أدهم) شخصيته ، فى مغامرة سابقة جمعتهما معًا ، هو و (أدهم)[*] ، وفهم الرسالة فى الحال ، فهتف :

ــ وكيف حال (دانى) ؟

أومأ المحامى برأسه فى رصانة ، وقال :

ــ فى خير حال يا سنيور (قدرى) .

ثم جلس ، وفتح حقيبته ، وهو يقول فى رزانة :

ــ والآن .. ما التهمة الموجَّهة إليك ؟

هتف (قدرى) فى لهفة :

(*) راجع قصة (المال الملعون) .. المغامرة رقم (١٠) .

ـ دَعْكَ من هذا .. المهم أن تخبر السنيور (دانى) أننى قد فهمت الرسالة ، وأننى أنتظر الخطوة القادمة .

حدَّق المحامى فى وجهه بدهشة ، وهتف :

ـ ماذا تعْنى بهذه الكلمات الغامضة يا سنيور ؟

أطلق (قدرى) ضحكة مجلجلة ، أثارت دهشة الرجل ، قبل أن يقول فى مرح :

ـ لا عليك أيها المحامى .. انقل الرسالة فحسب ، وستحقِّق نتيجة أعظم بكثير من مرافعة طويلة .

عقد المحامى حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـ لن أقبل هذا النوع من القضايا بعد ذلك .

ربَّت (قدرى) على كتفه فى مرح ، وهو يقول :

ـ إنه قرار جيِّد يا صديقى .. المهم أن تبلِّغ هذه الرسالة أوَّلاً للسنيور (دانى) .

وخارج الزنزانة ، ابتسم المأمور ابتسامة تفيض شراسةً ودهاءً ، وغمغم فى صوت شامت ، شديد الخفوت :

ـ اطمئن أيها البدين .. ستصل رسالتك إلى (دانى) هذا .. ستصل إليه فى قبره .

* * *

وضعت دونا (ماريانا) سمَّاعة الهاتف فى انفعال ، وهتفت فى أحد رجالها بعصبية :

ـ أسرع إلى قسم الشرطة ، وخذ معك خمسة رجال أشدَّاء ، وسيكون عليكم تتبع المحامى ، حينما يغادر القسم ، ومراقبته فى اهتمام ، ومعرفة من هو (دانى جارو) هذا ، الذى كلَّفه الدفاع عن البدين .

غمغم الرجل فى انفعال مماثل :

ـ وماذا لو أن (دانى جارو) هو نفسه (أدهم صبرى) ؟

صاحت فى غضب :

ـ هل تسألنى أيها الغبى ؟.. فى هذه الحالة سيكون عليكم قتله بلا رحمة ..

وأردفت فى وحشية :

ـ بلا رحمة !!

* * *

انطلق المحامى (ألبرتو بونتى) بسيارته ، عائدًا إلى مكتبه فى قلب (برشلونة) ، وهو يغمغم فى سخط :

ـ يالها من قضية سخيفة !! الرجل لم توجَّه إليه تهمة معيَّنة ، وهو يتحدَّث بخزعبلات غير مفهومة .. لن أتناول مثل هذه القضايا بعد الآن .

وتوقف بسيارته أمام البناية الضخمة ، التى تحوى مكتبه ، وهبط منها فى خَنَق واضح ، دون أن ينتبه إلى السيارة الزرقاء ، التى توقفت خلفه مباشرةً ، والتى يجلس فيها ستة رجالٍ ، قال أحدهم فى اهتمام :

ـ إنه لا يبدو لى شبيهًا بذلك الشيطان المصرى .

عقد آخر حاجبيه ، وقال فى توتُّر :

ـ لا تنسَ أن ذلك الشيطان خبير فى تبديل ملامحه ، ويمكنه أن ينتحل شخصية محامٍ إسبانى فى بساطة .

ثم فتح باب السيارة المجاور له ، وهو يستطرد :

ـ اتبعنى يا (روبرتو) .. سنتحرّى عن ذلك المحامى ، وليبقَ الآخرون فى السيارة ، استعدادًا لحدوث أيّة طوارئ .

تبعه (روبرتو) فى اهتمام وسرعة ، وسرعان ما استقلا المصعد معًا إلى الطابق الخامس ، حيث مكتب (ألبرتو) ، ودخلا إلى حيث تجلس سكرتيرته ، وقال الأول فى صرامة :

ـ أخبرى السنيور (ألبرتو) أن (فريدريك) يريد مقابلته .

سألته السكرتيرة فى لهجة روتينية :

ـ (فريدريك) من يا سنيور ؟.. ألديك موعد سابق ؟ أم ....

وبترت السكرتيرة عبارتها ، وهى ترتجف كريشة فى مهبّ الريح ، حينما رأت فوّهة مسدّس مصوّبة إلى رأسها ، وسمعت (فريدريك) يقول فى سخرية :

ـ هل تكفى هذه البطاقة ؟

كادت السكرتيرة تسقط فاقدة الوعى ، وهى تغمغم فى صوت مرتجف ، يقطر بالرعب والفزع :

ـ لا توجد أيّة أموال هنا يا سنيور .. أقسم لك .. إننا نودع أموالنا ....

جذبها (روبرتو) فجأة من شعرها فى قسوة ، ووضع كفّه على فمها يمنعها من الصراخ ، ثم دفعها أمامه إلى حجرة (ألبرتو) ، التى دفع (فريدريك) بابها فى قوة ، وصوّب مسدّسه إلى (ألبرتو) ، الذى اتسعت عيناه فى ذُعر ، وقفز من خلف مكتبه ، وهو يقول فى فزع :

ـ ماذا يحدث هنا ؟.. من أنتما ؟

صاح (فريدريك) فى خشونة :

ـ لا داعى للتظاهر .. لقد انتهت التمثيلية أيها الشيطان .

كاد (ألبرتو) يبكى ، وهو يهتف فى رُعب :

ـ أيّة تمثيلية ؟.. وأىّ شيطان ؟

جذب (فريدريك) إبرة مسدسه ، وهو يقول فى سخرية شريرة :

ـــ انتهت اللعبة أيها الشيطان .. لن تنقذك براعتك فى التمثيل الهزلى يا (أدهم صبرى) .

لوَّح (ألبرتو) بذراعيه فى رُعب ، وهو يصرخ :

ـــ (أدهم صبرى) ؟!.. إننى لا أعرف هذا الاسم ياسنيور .. أُقسم لك .. لا أعرف هذا الاسم .

وفجأة .. تردَّد فى المكان صوت ساخر ، يقول فى هدوء :

ـــ إنه أنا يا سنيور (ألبرتو) .. أنا (أدهم صبرى) .

★ ★ ★

كانت عبارة (أدهم) الهادئة الساخرة ، أشبه بطلق نارى دوَّى فى المكان.. بالنسبة لـ(فريدريك) و(روبرتو)، فقد ارتجفا فى قوة، وكأنما أصابهما تيار كهربى قوى، وتراخت ذراع (روبرتو) ، التى تمسك بالسكرتيرة ، والتفت هو و (فريدريك) فى سرعة نحو مصدر الصوت ، وأسلحتهما متأهبة للانطلاق ..

ولكن التفاتة (روبرتو) لم تكتمل .

لقد ارتطم فى استدارته بقبضة كالقنبلة ، تفجَّرت فى فكِّه ،

وألقت به إلى الوراء فى قوة ، ليسقط وسط حجرة مكتب (ألبرتو) ، الذى تراجع فى ذُعر ، فى حين أطلقت سكرتيرته صرخة مدوِّية ، فى نفس اللحظة التى قبضت فيها قبضة (أدهم) على معصم (فريدريك) ، ليرفع فوَّهة مسدسه إلى أعلى ، وغاصت قبضته الثانية فى معدة هذا الأخير ، الذى تأوَّه فى ألم رهيب ، وانحنى إلى الأمام ، لتجبره قبضة (أدهم) الثانية على الانتصاب مرَّة أخرى ، وإن كانت ملامحه فى هذه المرَّة تختلف ، فقد تحوَّل أنفه إلى مزيج من الدم واللحم المفرىّ ، وجحظت عيناه ، ثم سقط كالحجر ..

وفى هدوء .. انحنى (أدهم) ، والتقط مسدس (فريدريك) ، وأعاد إبرته إلى الوضع الآمن ، وهو يبتسم ، قائلاً فى بساطة :

ـــ مساكين رجال دونا (ماريانا) هؤلاء.. إنهم لا يهتمُّون بتنمية قدراتهم العضلية أبدًا ، اكتفاءً بأسلحتهم النارية السخيفة .

انتزعت العبارة (ألبرتو) من ذهوله ، فهتف فى ذُعر :

ـــ رجال دونا (ماريانا) .. هل تقصد يا سنيور (دانى) أن هؤلاء الرجال هم ..... ؟

وبتر عبارته فجأة ، وهو يحدِّق فى وجه (أدهم) ، الذى ظلَّ يبتسم فى هدوء ، و (منى) ، التى أولت السكرتيرة اهتمامها البالغ ، محاولةً إزالة بعض توتُّرها ورعبها ، وعاد يهتف فى حِدَّة :

ــ ولكن (دانى جارو) هذا ليس اسمك بالتأكيد .. لقد خاطبك هذان الرجلان باسم ....

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ــ دَعْك من الأسماء يا سنيور (ألبرتو) ، فهى لا تعنى شيئًا فى كثير من الأحوال .

حدَّق (ألبرتو) فى وجهه لحظة أخرى فى ذهول ، ثم هتف فى حَنَق :

ــ ولكننى لا أحب أن أتورَّط فى مشكلة مع دونا (ماريانا) ورجالها .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ لقد انغمست فى هذه المشكلة حتى النخاع يا عزيزى ، ولم يُعد هناك مجال للتراجع .

شحب وجه (ألبرتو) ، وسقط فوق مقعده ، وهو يغمغم فى رُعب :

ــ يا إلٰهى !!.. إنها نهايتى !! نهايتى ..

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ لو سألتنى رأيى ، فأنا أنصحك بالسفر إلى منطقة بعيدة ، أنت وسكرتيرتك يا سنيور (ألبرتو) ، فأنتما تحتاجان إلى إجازة طويلة ، بعد كل هذا القدر من التوتُّر .

هتف (ألبرتو) فى عصبية :

ــ ومكتبى ؟!.. وعملى ؟!

ابتسمت (منى)، وهى تتبادل نظرة غامضة مع (أدهم)، الذى التقط حقيبة صغيرة ، لم يلتفت إليها (ألبرتو) أو سكرتيرته من قبل ، وقال (أدهم) فى هدوء ، وهو يشير إلى الحقيبة الصغيرة :

ــ اطمئن يا سنيور (ألبرتو) .. سيسير كل شىء على ما يرام ، بفضل هذه الحقيبة ، التى ابتعتها مع محتوياتها بمبلغ كبير .

تطلَّع (ألبرتو) وسكرتيرته إلى الحقيبة فى دهشة وحَيْرة ، ثم هتف (ألبرتو) :

ــ ماذا تعْنى ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أغنى أننى سأواصل لعبة الخداع ، فى هذه الحرب الشعواء يا سنيور (ألبرتو) ، فالنصر فى هذه المعركة سيكون لصاحب أبرع خدعة .

★ ★ ★



٦ ـ وانقلبت الأمور ..

استعاد (فريدريك) وعيه فى بطء ، وتطلّع فى دهشة إلى (ألبرتو) ، الذى يعمل جاهدًا لإنعاشه ، والذى هتف فى مزيج من التملّق والخوف :

ـ حمدًا لله .. لقد استعدت وعيك ياسنيور (فريدريك)، لقد خشيت أن تطول غيبوبتك و .....

قاطعه (فريدريك) ، وهو يزيحه بعيدًا فى خشونة :

ـ أين ذهب ذلك الشيطان المصرى ؟

لوّح (ألبرتو) بذراعيه ، وهو يقول فى ذُعر :

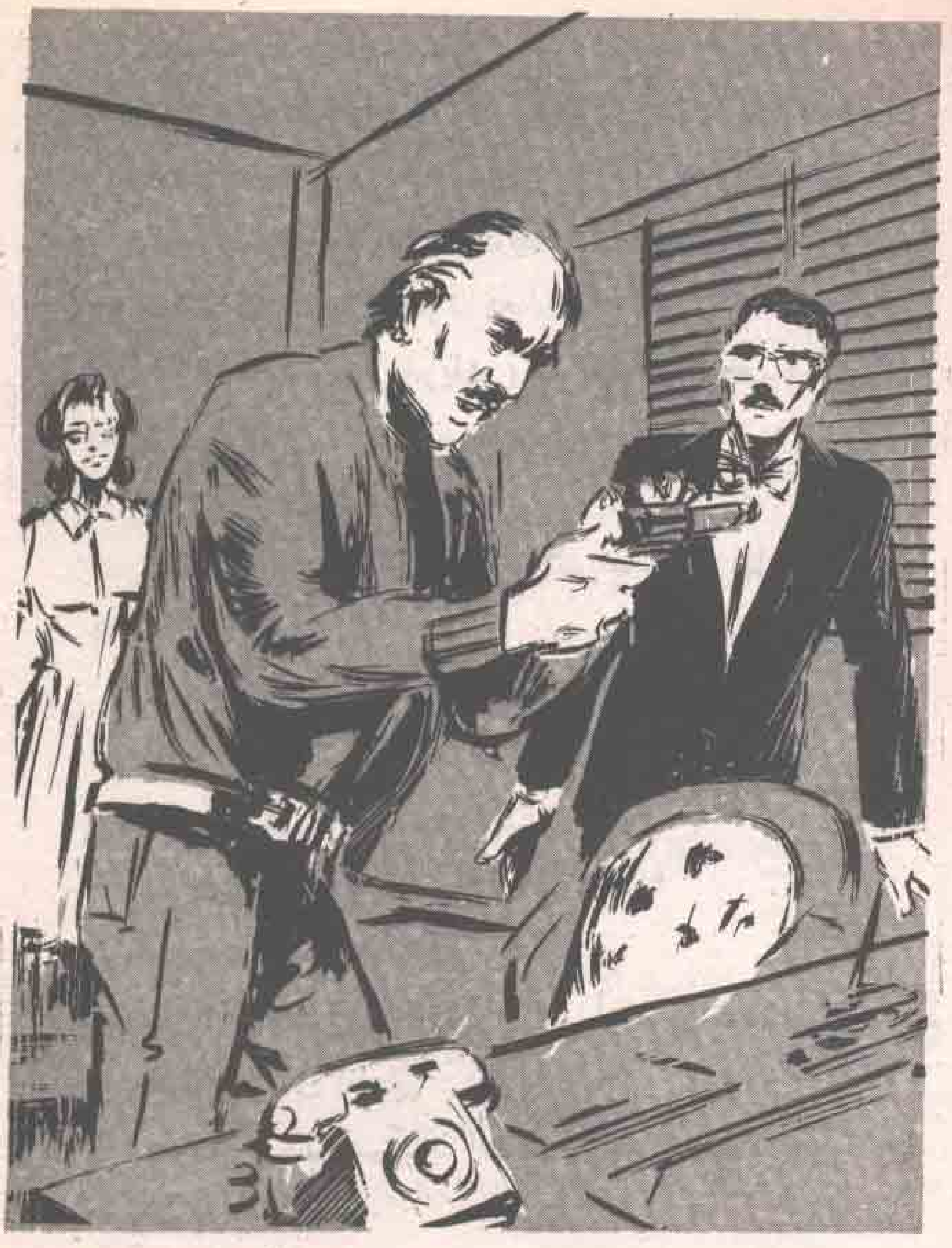
ـ لقد رحل يا سنيور (فريدريك) .. رحل .. لقد رفضت التعاون معه .

غمغم (فريدريك) ، وهو يقاوم لاستعادة صفاء ذهنه كاملاً :

ـ التعاون معه ؟!.. ماذا تعنى يا رجل ؟

تلفّت (ألبرتو) حوله فى ذُعر، ثم مال نحو (فريدريك)، وهمس فى توتُّر :

ـ لقد أراد منّى أن أعمل لحسابه ، وأحاول خداع دونا (ماريانا) .



وتضاعفت دهشته حينما التقطه ، ووجده محشوًّا بالذخيرة ..

ثم عاد يلوِّح بذراعيه فى قوة ، وهو يهتف :

ــ ولكننى رفضت .. رفضت يا سنيور (فريدريك) .. أُقسم لك .

تطلَّع (فريدريك) فى دهشة إلى مسدَّسه ، الموضوع فى عناية فوق مكتب (ألبرتو) ، وتضاعفت دهشته حينما التقطه ، ووجده محشوًّا بالذخيرة ، ولكنه ألقى دهشته خلف ظهره ، ودسَّ المسدَّس فى جيب سترته ، وهو يقول فى خشونة :

ــ ولماذا رفضت يا رجل ؟

ارتبك (ألبرتو) ، وهو يقول فى تلعثُم :

ــ لا يمكننى أن أخون دونا .. أليس كذلك ؟

مطَّ (فريدريك) شفتيه فى امتعاض ، وغمغم فى برود ، وهو يلقى نظرة على (روبرتو) ، الذى تحاول سكرتيرة (ألبرتو) إنعاشه فى اهتمام :

ــ ربما كان لدونا (ماريانا) رأى آخر يا رجل .

ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، وهو يستطرد :

ــ ورأيها هو الذى سيحسم المعركة أيها المحامى .

★ ★ ★

أنصتت (ماريانا) فى توتُّر وانتباه إلى حديث (فريدريك) الهاتفى ، وعقدت حاجبيها وهى تفكِّر فى عمق ، قبل أن تقول فى انفعال :

ــ اطلب من هذا المحامى أن يعاود اتصاله بذلك الشيطان ، ويؤكد له استعداده للتعاون معه .

جاءها صوت (فريدريك) من الجانب الآخر ، يقول فى اهتمام :

ــ وماذا عن البدين ؟

خيَّم السكون لحظة على أسلاك الهاتف ، قبل أن تجيب (ماريانا) :

ــ فليعمل المحامى جاهدًا على إطلاق سراحه ، وسأطلب من المأمور معاونته على ذلك .

غمغم (فريدريك) فى دهشة :

ــ يطلق سراحه ؟!.. كيف يا دونا ؟

صاحت فى غضب :

ــ لا تناقشنى أيها الغبىّ .. نفِّذ أوامرى فحسب .

ثم أردفت فى انفعال :

ــ هذا البدين سيكون الطعم ، الذى نصطاد به (أدهم صبرى) .

هتف (فريدريك) فى حماس :

ــ لقد فهمت يا دونا .. فهمت اللُّعبة .

ولم يكد يضع سمَّاعة الهاتف ، حتى تألَّقت عينا (ماريانا) فى شراسة ، وهى تغمغم فى كراهية :

ــ سأقلب اللُّعبة كلها على رأسك ورأس زميلتك القاتلة يا (أدهم صبرى) .

★ ★ ★

عَبَر (ألبرتو) باب حجرة المأمور ، والقلق يرتسم فى كل خلجة من خلجاته ، ولم يكد المأمور يلمحه ، حتى هبَّ لملاقاته فى ترحاب ، وهو يهتف :

ــ مرحبًا يا سنيور (ألبرتو) ، مرحبًا .. هل أتيت بشأن المصرى البدين ؟

تنحنح (ألبرتو) فى ارتباك ، واعتدل وهو يقول فى روتينية :

ــ لقد درست الأمر يا سيِّدى المأمور ، ووجدت أنكم تحتفظون بهذا الرجل دون جريرة ، وطبقًا للقانون رقم .....

قاطعه المأمور ضاحكًا ، وهو يربِّت على كتفه فى حماس :

ــ لا داعى لكل هذه المحاضرة يا صديقى .

ثم مال على أذنه مستطردًا فى مرح هامس :
ــ لقد أخبرتنى دونا (ماريانا) بكل شىء .
وعاد صوته يعلو ، وهو يردف فى اهتمام :
ــ سنطلق سراحه ياسنيور (ألبرتو)، فنحن لانحب انتهاك القانون ، الذى نقوم على حمايته .
وقاده فى سرعة إلى زنزانة (قدرى) ، وأشار إلى هذا الأخير ، وهو يقول متظاهرًا بالجدِّيَّة والالتزام :
ــ ها هو ذا يا سنيور (ألبرتو) .. إننا لا نملك إلّا إطلاق سراحه .
أشار (ألبرتو) إلى (قدرى) فى هدوء ، وهو يقول فى رصانة :
ــ هل سمعت ؟.. لقد ربحت قضيتك ؟ هيًّا بنا .
تبعه (قدرى) إلى الخارج فى هدوء ، وتوقّف لحظة أمام المأمور ، وقال له فى سخرية :
ــ لقد أسعدتنى إقامتى القصيرة بينكم أيها المأمور ، ولكن طعامكم تنقصه الدسامة .
غمغم المأمور فى صرامة :
ــ سنحضر لك الطعام من مطعم (ماركيز) فى المرّة القادمة .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول :
ــ لن تكون هناك مرَّة ثانية ــ بإذن الله ــ أيها المأمور ، فأنا عائد إلى بلادى .
وعاد يقهقه فى مرح ، وهو يتبع المحامى إلى سيارته ، وحشر جسده البدين فى مقعد السيارة الخلفى ، وهو يقول لسكرتيرة (ألبرتو) ، التى تجلس على المقعد الأمامى ، المجاور لمقعد السائق :
ــ أخبرينى يا آنستى .. أو ياسنيوريتا .. أكل الإسبانيات حسناوات مثلك ؟
ابتسمت السكرتيرة ، وأشاحت بوجهها دون أن تتكلّم ، فى حين احتل (ألبرتو) مقعد السائق ، وهو يقول فى هدوء :
ــ حاول أن تحسِّن لغتك الإسبانية أوّلًا ياسنيور (قدرى)، قبل أن تحاول مغازلة الإسبانيات .
ثم انطلق بالسيارة ، وهو يستطرد فى برود :
ــ خاصةً وأنك ستلتقى بإسبانية شرسة بعد لحظات .
وعقد (قدرى) حاجبيه ، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة ..

★ ★ ★

وضع (فريدريك) سمّاعة الهاتف، والتفت إلى (ماريانا)، قائلاً :

ـــ لقد انصرف المحامى ، ومعه البدين يا دونا .

حاولت أن تخفى توتُّرها مع أنفاس السيجارة الملوَّنة ، التى تدخِّنها فى شراهة ، وهى تقول :

ـــ هل يراقبهم رجالنا جيِّدًا ؟

أومأ (فريدريك) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم يادونا ، على الرغم من أننا نعرف مكان اللقاء الذى اتفق عليه (ألبرتو) مع ذلك الشيطان المصرىّ .

ارتجفت أصابعها فى انفعال ، وهى تقول :

ـــ سنسبقهم إلى هناك ، فأنا أحب أن أكون فى استقبال (أدهم) وزميلته ، حينما يصلان لتسلم زميلهما .

رفع (ماريو) فوَّهة مسدَّسه أمام وجهه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ اتركى لى (أدهم صبرى) يا دونا .. إن بيننا ثأرًا ، أحب أن أطفئه بالدم .

ابتسمت فى توتُّر ، وقالت :

ـــ لا بأس يا (ماريو) .. على أن تترك لى الفتاة .

واكتسبت لهجتها وحشيَّة مخيفة ، وهى تحرِّك أصابعها فى الهواء كنمرة شرسة ، وتستطرد :

ـــ سأقتلع عينيها بأظفارى ، قبل أن أطلق النار على رأسها .

ارتفع فى تلك اللحظة رنين الهاتف ، فأسرع (فريدريك) يلتقطه ، وهو يقول فى اهتمام :

ـــ من المتحدِّث ؟

وامتقع وجهه فى شدة ، وهو يستمع إلى الطرف الآخر ، ثم التفت إلى (ماريانا) ، وقال فى صوت مختنق :

ـــ إنه (روبرتو) .. يقول إن رجال الأمن العام قد ألقوا القبض الآن على مأمور القسم .

هتفت (ماريانا) فى دهشة :

ـــ ماذا ؟..

ثم عقدت حاجبيها ، وهى تستطرد فى غضب وشراسة :

ـــ أقسم إن (أدهم صبرى) وراء ذلك ، ولكننى سأقتله الليلة .. لن أغمض جفنىَّ إلَّا على رائحة الدَّم .. دم (أدهم) و (منى) .

* * *

٧ ـ لقاء فى الجبال ..

ظلَّ (قدرى) صامتًا ، عاقدًا حاجبيه وساعديه ، طوال الطريق الذى قطعته سيارة (ألبرتو) ، من قسم الشرطة ، وحتى منطقة نائية منعزلة ، عند سفح جبال (البرانس) ، حيث أوقف (ألبرتو) السيارة ، وجلس صامتًا ، هادئًا ، وشاركته سكرتيرته صمته وهدوءه ، حتى هتف (قدرى) فى حَنَق :

ـ هل سننتظر هكذا للأبد ؟

أجابه (ألبرتو) دون أن يلتفت إليه :

ـ حتى تصل دونا (ماريانا) .

اتسعت عينا (قدرى) ، وهو يهتف فى دهشة وغضب :

ـ دونا (ماريانا) ؟!.. هل تحملنى إليها ؟

أجابه (ألبرتو) فى صرامة :

ـ اصمت وانتظر :

ولكن (قدرى) دفع باب السيارة فى حِدَّة، وهو يهتف:

ـ هيهات أيها الخائن .

وعلى الرغم من جسده البالغ البدانة ، قفز خارج السيارة

فى رشاقة ، وانطلق يعدُو مبتعدًا ، وقفز خلفه (ألبرتو) ، وهو يهتف فى ذُعر :

ـ لا .. ستقتلنى(دونا)لو أنك هربت .

وتعلَّق بعنق (قدرى) ، الذى ضربه فى معدته بقوَّة ، وهو يقول :

ـ وهل ستجعلنى كبش الفداء أيها الحقير ؟

سقط (ألبرتو) أرضًا ، وهو يتأوَّه ، فى حين واصل (قدرى) عَدْوَه ، وهو يهتف فى حَنَق :

ـ ألم يجد (أدهم) سوى هذا الخائن و ..... ؟

وبتر عبارته فجأة ، وتصلَّبت أطرافه ، حينما رأى خمسة مدافع رشاشة مصوَّبة إلى رأسه ، وسمع صوت دونا (ماريانا) تقول فى سخرية :

ـ إلى أين أيها البدين ؟.. ألن تنتظر زميلك ؟

شعر (قدرى) بمزيج من الحَنَق والقَهر ، وهو يغمغم فى غضب :

ـ القضاء على (أدهم) لا يتم بهذا الأسلوب القذر .

عقد (ماريو) حاجبيه فى غضب ، وصاح :

ـ هل أطلق النار عليه يا دونا ؟



وقفز خلفه (ألبرتو) وهو يهتف فى ذُعر :
ــ لا .. ستقتلنى (دونا) لو أنك هربت ..

أشارت إليه بذراعها أن يهدأ ، وقالت فى سخرية :
ــ ليس بعد يا (ماريو) ، سننتظر الشيطان وزميلته القاتلة ، ثم ننفذ حكم الإعدام فى ثلاثتهم .
أسرع إليها (ألبرتو) ، وهو يلوِّح بذراعيه ، صائحًا فى توتُّر :
ــ لقد حاولت أن أمنعه يا دونا .. أُقسم لك .
ابتسمت (ماريانا) فى سخرية ، وقالت :
ــ أعلم ذلك يا (ألبرتو) .. لقد نقل إلينا جهاز التصنت الصغير ، الذى وضعناه فى سيارتك كل شىء ، وهذا ما جعلنا نسرع لمنعه من الفرار .
اتسعت عينا (ألبرتو) فى دهشة ، وهو يهتف :
ــ جهاز تصنُّت ؟!.. ألا تثقين بى يا دونا ؟
لوَّحت بذراعها فى لامبالاة ، وهى تقول :
ــ إننى لا أثق فى أحد يا سنيور (ألبرتو) .
ظهر الغضب على وجه (ألبرتو) ، وقال وهو يشيح بوجهه :
ــ وماذا لو أن (أدهم صبرى) هذا كان يراقبنا الآن ، وعلم بالكمين الذى تعدُّونه له ؟

ابتسم (ماريو) فى سخرية ، وقال :

ــ اطمئن أيها المحامى .. إننا نراقب الطريق جيِّدًا ، وسيكون على (أدهم صبرى) هذا أن يتحوَّل إلى ذبابة ، حتى يصل إلى هنا ، دون أن تشعر به .

وابتسمت (ماريانا) فى ثقة ، وهى تقول :

ــ لن يربح (أدهم) هذه الجولة يا سنيور (ألبرتو) .. لأنها هذه المرَّة معركة ذكاء ، وليست معركة عضلات ؛ لذا فلن يربحها (أدهم صبرى) .

هزَّ (ألبرتو) كتفيه ، وقال :

ــ عجبًا !!.. لقد بدا لى شديد الذكاء .

عقدت (ماريانا) حاجبيها فى غضب ، وقالت فى حدَّة :

ــ ومن أدراك ؟ .. ربما كنت أنت شديد الغباء .

مطَّ (ألبرتو) شفتيه فى حَنَق ، وقال :

ــ لم يعاملنى أحد بهذا الأسلوب قط يا(دونا):

قالت فى صرامة :

ــ إنك لن تفرض علىَّ أسلوبًا للتعامل يا (ألبرتو) .

ظهر الذُعر فى عينيه ، وهو يغمغم :

ــ لا بأس يا دونا .. لا بأس .

ثم أشاح بوجهه ، قائلاً :

ــ سننتظر معًا مقدم (أدهم صبرى) هذا ، وحينما تقتلينه ، اسمحى لى بالانصراف يا دونا .

تألَّقت عيناها ، وهى تقول فى شراسة :

ــ حينما أروى يدىَّ بدماء (أدهم) وزميلته ، سأمنحك أى شىء تطلبه يا (ألبرتو) .. سأمنح أى مخلوق ما يشتهيه .

وازداد تألق عينيها ، وهى تستطرد فى شهوة وحشية :

ــ سيكون عيد دونا (ماريانا) الأكبر يا (ألبرتو) .

★ ★ ★

مضى الوقت بطيئًا ثقيلاً ، وارتفعت حدة التوتُّر عند سفح الجبل، حيث تنتظر دونا (ماريانا) وصول (أدهم) و(منى) ، وبدا (ماريو) أكثر الجميع توتُّرا وقلقًا ، وهو يغمغم :

ــ أخشى أن يكون هذا الشيطان المصرى قد كشف اللُّعبة يا دونا .

هتفت فى حِدَّة :

ــ مستحيل يا (ماريو) .. مستحيل .

ثم تألَّقت عيناها فى وحشية ، وهى تلتفت إلى (ألبرتو) ، مستطردةً :

— إلا إذا .....

ارتجف (ألبرتو) فى وضوح ، وهو يهتف فى ذُعر :

— إلا إذا ماذا يا دونا ؟

صاحت فى غضب شيطانى :

— إلا إذا كنت قد خنتنا يا (ألبرتو) .

صاح (ألبرتو) فى رُعب ، وهو يلوِّح بذراعيه فى حِدَّة :

— كلَّا يا دونا .. أُقسم لك .. أُقسم لك .

وألقى جسده بين رجال دونا (ماريانا) الخمسة ، وهو يواصل فى ذُعر واضح :

— الرحمة يا رجال .. الرحمة .

انتزع (ماريو) مسدَّسه ، وألصقه برأسه ، وهو يقول فى صرامة :

— أين الحقيقة يا (ألبرتو) ؟.. اعترف أو أفجِّر رأسك .

وفجأة .. تسمَّرت دونا (ماريانا) ، وتسمَّر (ماريو) ، وتصلَّبت أطراف رجالهما الخمسة ، فقد انطلقت ضحكة ساخرة ، ارتجفت لها صخور الجبل ، وأعقبها صوت ساخر مخيف ، يقول :

— يالك من غبى!! إننى أنا (أدهم صبرى) أيها الأوغاد .

ولقد كانت المفاجأة أقوى مما يمكنهم تحملها ، فلقد انطلقت تلك الضحكة الساخرة ، وخرجت العبارة المتهكِّمة من بين شفتى الرجل الذى يقف وسطهم ..

من بين شفتى (ألبرتو بونتى) .

* * *



٨ ـ المفاجأة ..

تسمَّرت عيون الجميع فوق (ألبرتو) ، وسقطت فكّ (ماريو) السفلى فى ذهول ، وفجأة تفجّر نشاط عجيب فى جسد (ألبرتو) ، وتحوّل فجأة إلى عاصفة هوجاء ، انقضت على فكّ (ماريو) ، وحوّلته إلى حطام ، ثم هوَت على وجه أحد الرجال الخمسة ، وانتزعت أنفه ، وحطّمت فكّ الثانى ، وغاصت فى معدة الثالث ، وكسرت عنق الرابع ، وشجّت رأس الخامس ..

وتراجعت دونا (ماريانا) ، فى مزيج من الرعب والذهول ، أمام المفاجأة ، وهى تغمغم فى ألم رهيب :

ـ مستحيل !!.. مستحيل !!.

ثم تحوّل رُعبها وذهولها إلى بركان من الغضب ، جعلها تنتزع مسدسها الصغير ، وتصوِّبه إلى رأس (أدهم) ، وهى تقول فى صوت مرتجف ، من شدة الغضب والانفعال :

ـ سأقتلك أيها الشيطان المصرى .. سأقتلك .

ودوّى طلق نارى ، وطار مسدس (ماريانا) ، التى صرخت فى ألم ، والتفتت فى غضب ودهشة إلى مصدر الطلق النارى ، وكادت تبكى قهرًا حينما رأت سكرتيرة (ألبرتو)

تصوِّب إليها مسدسًا ، وتستند فى هدوء إلى مقدّمة سيارة هذا الأخير ، وهى تقول فى سخرية ، ميّزت فيها (ماريانا) صوت (منى) :

ـ رُوَيدك يا أفعى (برشلونة) .. لقد نسيتنى .

انهارت (ماريانا) وهى تبكى فى حرارة ، وتنتحب فى قوة ، فى حين اقترب منها (أدهم) فى هدوء ، ونزع ملامحه التنكُّرية ، وهو يقول فى سخرية :

ـ أمازلت تصرِّين على أن (أدهم صبرى) لا ينتصر أبدًا فى حرب الذكاء ؟

رفعت إليه عينيها الدامعتين ، المنهارتين ، وهى تغمغم :

ـ كيف فعلت ذلك ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ لقد كانت لُعبة طريفة يا عزيزتى (ماريانا) .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

ـ لقد بدأت اللُّعبة باختيارى لـ (ألبرتو بونتى) بالذات ، الذى بدت مقاييسه الجسمانية أقرب ما يكون إلىّ ، وأرسلته للدفاع عن (قدرى) ، وأنا أعلم أن المأمور سيشك فيه فور رؤيته ، وسيحاول إثبات أنه متنكِّر ، ولكنه سيفشل ؛ لأن

(ألبرتو) إسبانى حقيقى ، وهنا سيصبح (ألبرتو) محل ثقة ، وإمعانًا فى تثبيت هذه الثقة، هاجمت (فريدريك) و(روبرتو) أمام (ألبرتو) ، مما جعلكم تثقون تمامًا فى أن (أدهم) و (ألبرتو) شخصان مختلفان ، وهنا جاء دور الجزء الثانى من الخطة .

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وهو يقول فى مرح :

ـــ لقد كانت خُطة رائعة ، حتى أنها خدعتنى أنا أيضًا يا صديقى .

ابتسم (أدهم) ، وعاد يكمل فى هدوء :

ـــ لقد ابعدت (ألبرتو) وسكرتيرته ، بعد أن فقد (فريدريك) و (روبرتو) وعيهما مباشرةً ، ولم يكن ذلك عسيرًا ، فلقد كانا يرتجفان رعبًا ، وحينما استعاد (فريدريك) وعيه ، استقبلتنى عيناه ، وأنا متنكّر فى هيئة (ألبرتو) ، و (منى) متنكّرة فى هيئة سكرتيرته ، وكان من المستحيل فى لحظة استعادته لوعيه أن ينتبه إلى أننى لست (ألبرتو) الحقيقى .. وبخدعة ماهرة ، جعلته يتصل بك يا (ماريانا) ، وجعلتك تقترحين إعداد الفخ لـ (أدهم صبرى) ، دون أن يخامرك الشك لحظة فى أننى أنا (أدهم صبرى) نفسه .

وضحك فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ ولقد كنت أعلم بأمر جهاز التصنُّت ، الذى دسّه رجالك فى سيارة (ألبرتو) ؛ لذا فقد تعاملت مع (قدرى) على أننى (ألبرتو) ، ولم أحاول كشف الحقيقة له ، وعاونتنى محاولته للفرار على تأكيد كونى (ألبرتو) .. وأنت تعلمين الباقى يا عزيزتى (ماريانا) .

انهمرت دموعها فى ألم ، وهى تصرخ :

ـــ أنت قذر .. خائن .. حقير .

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

ـــ قذر وخائن وحقير ؟!.. ولكننى كنت أدافع عن حياتى ، وحياة رفيقىّ ، وهذه الصفات تنطبق على المهاجِم ، لا على المهاجَم .

ارتفع فى تلك اللحظة صوت صفير قوى ، فهتفت (منى) :

ـــ ما هذا ؟

اقترب (أدهم) من حافة المكان ، وتطلّع إلى الميناء ، وغمغم فى هدوء :

ـــ إنها (عروس المتوسّط) تقلع من (برشلونة) ، فى طريقها إلى (نابولى) .

تقدَّم إليه (قدرى) و (منى) ، وغمغم (قدرى) :

ـ أعتقد أنه سيتحتَّم علينا العودة بالطائرة .

قلَّبت (منى) شفتيها ، وهى تقول :

ـ سأفضِّل ذلك يا (قدرى) ، فلقد كرهت هذه السفينة .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ـ هل تعلمون أن صديقنا (تيدى فولسونج) سيبحر على ظهر سفينته ؟

انهمكوا فى حديث حول (فولسونج) وسفينته ، ولم يلتفت أحدهم إلى (ماريانا) ، التى تسلَّلت إلى سيارة (ألبرتو) ، وهى تقول فى غضب :

ـ ابقوا هكذا عند الحافة يا عمالقة المخابرات المصرية ، فهذا يجعل قتلكم أكثر سهولة .

ثم أدارت محرِّك السيارة ، وانطلقت بها ، وهى تصرخ فى جنون :

ـ ستربح دونا (ماريانا) هذه المعركة أيها الشياطين .. ستربح المعركة .

★ ★ ★

استدار أبطالنا الثلاثة إلى السيارة التى تقودها (ماريانا) ، والتى تندفع نحوهم فى قوة وسرعة ، وتحرَّك الثلاثة فى إتقان وبراعة ، فقفزت (منى) يسارًا ، وقفز (قدرى) يمينًا ، فى حين قفز (أدهم) فوق مقدِّمة السيارة ، التى انحرفت بها (ماريانا) ، قبل أن تبلغ حافة المنطقة ، وصرخت فى جنون :

ـ ابتعد أيها الشيطان .. ابتعد عن طريقى .

وزادت من سرعة السيارة ، وهى تنطلق بها خلف (منى) ، متجاهلةً (أدهم) المتعلِّق بمقدِّمة السيارة ، ولكن (أدهم) دار بجسده فى مهارة ورشاقة ، وفوجئت به (ماريانا) فوق المقعد المجاور لها ، فصرخت فى ثورة وغضب :

ـ كلَّا .. كلَّا .. ابتعد .. اتركنى أقتلها .

ولكن (أدهم) تشبَّث بعجلة القيادة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ ليس الآن يا عزيزتى (ماريانا) .. ليس الآن .

حاولت (ماريانا) أن تقاومه فى شراسة ، ولكن دفعها بعيدًا عن عجلة القيادة ، وهو يقول فى تهكُّم :

ـ هل تخلَّيت عن مبادئك يا عزيزتى الأفعى ؟.. إنه قتال عضلى ، ولن يمكنك هزيمتى فيه .

ولكن عينا (ماريانا) تألقتا فجأة فى وحشية ، وضغطت دوّاسة الوقود بكل ما تملك من قوة ، وهى تصرخ فى جنون :

ـ حسنًا .. مادمت ترغب فى ذلك ، سنلقى حتفنا معًا أيها الشيطان ..

وأطلقت ضحكة شيطانية ، وهى تردف فى جنون :

ـ سنموت معًا يا شيطان مصر .

والتفت (أدهم) إلى الأمام ، ورأى السيارة تقفز فوق حافة المنطقة ، نحو هاوية يبلغ عمقها نصف كيلومتر ، وتفترش الصخور الحادة قاعها ..

لقد كانت النهاية ..

* * *



٩ ـ رأس الأفعى ..

كانت النهاية بلا ريب ، فقد عبر إطارا السيارة الأماميين حافة الهاوية ، والسيارة نفسها تنطلق بسرعة رهيبة ، وقائدتها أفعى كاد الجنون يذهب بصوابها ..

ولكن (أدهم صبرى) كان داخل السيارة أيضًا ..

لقد اندفع (أدهم) يسارًا ، فأحاط (ماريانا) بذراعيه ، ودفع الباب المجاور لها ، وقفز معها خارج السيارة ، التى سقطت فى أعماق الهوّة السحيقة ، فى حين تعلّق هو بصخرة ناتئة ، وشعر بثقل جسده وجسد (ماريانا) ، وهو يتشبّث بالصخرة بيُمناه ، ويجذب جسد (ماريانا) بيُسراه ، وهى تقاومه فى ثورة ، وتضرب صدره بقبضتيها ، صارخة :

ـ أى شيطان أنت ؟.. أى شيطان أنت ؟

ومستعينًا بكل قواه ، رفع (أدهم) جسده بذراع واحدة إلى أعلى الحافة ، وجذب إليه (ماريانا) ، وألقاها بين ذراعى (قدرى) ، وأخذ يلهث فى قوة ، فى حين هتفت (ماريانا) وهى تنتحب ، وتحاول التخلّص من ذراعى (قدرى) :

ـ لماذا أنقذتنى أيها الشيطان ؟.. لقد كنت أرغب فى الموت .



وقفز معها خارج السيارة ، التى سقطت فى أعماق الهوّة السحيقة ، فى حين تعلّق هو بصخرة ..

قال (أدهم) فى هدوء ، وهو ينفض الغبار عن حُلّته :

ـ ستموتين يا (ماريانا) ، ولكن بحكم قضائىّ ، فلقد كان شقيقك الغبىّ يحتفظ فى طيّات ثيابه بأوراق تدينه وتدينك ، وتثبت تورُّطكما فى عمليات قتل وتهريب مخدِّرات ، واختطاف ، كما تثبت تورُّط مأمور القسم أيضًا ، ولقد أرسلت هذه الأوراق إلى النائب العام ، ولاريب أنه سيتخذ الإجراءات المناسبة ، لإلقاء القبض على جميع المتورِّطين .

اتسعت عينا (ماريانا) فى ذعر ، وهى تقول :

ـ إذن فأنت الذى تسبَّبت فى إلقاء القبض على المأمور .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ـ إنها البداية فحسب يا أفعى (برشلونة) ، فالجرائم ، التى تثبتها الأوراق ، تكفى للحكم بإعدامك ، وإعدام شقيقك الغبىّ .

انهارت (ماريانا) ، وأخذت تبكى فى حرارة ، وهى تقول :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟.. لماذا ؟

بدا صوت (أدهم) صارمًا قاسيًا ، وهو يقول :

ـ لقد كنت أدافع عن نفسى ، وعن رفاق فحسب

يا (ماريانا) .. أنت التى بدأت القتال والصراع ، وعليك تحمُل النتائج .

وغمغمت (منى) فى صرامة مماثلة :

ـــ هذا جزاء من يتحدّى (أدهم صبرى) .

دفعت (ماريانا) ذراعى (قدرى) ، وهى تهتف فى انهيار :

ـــ دَعْنى .. دَعْنى .

شعر (قدرى) نحوها ببعض الشفقة ، فتركها تفلت من بين ذراعيه ، ولكنه لم يكد يفعل حتى اندفعت (ماريانا) نحو حافة الهاوية ، وخُيّل للجميع أنها ستلقى بجسدها من علٍ ، ولكنها انحنت فى سرعة ، والتقطت مسدَّس (ماريو) الملقى على حافة الهاوية ، واستدارت فى سرعة ، وهى تصوِّبه إلى (منى) ، وتصرخ فى جنون شيطانى غاضب :

ـــ سأقتل قاتلة شقيقتى .. سأقتلها مادام هذا آخر ما سأفعله فى حياتى .

وفى غمرة غضبها وجنونها .. أطلقت النار ..

★ ★ ★

جاءت مبادرة (ماريانا) مفاجئة ، حتى أن (منى)

تسمَّرت فى مكانها ، ولم تستطع القفز بعيدًا عن مسار الرصاصة ، وكان (أدهم) أبعد من أن ينقذ (منى) ، وكانت (ماريانا) تجيد إصابة الهدف فى براعة ..

ولكن مهلاً أيها القارئ .. لاتتسرَّع فى استنتاج ماحدث ، فمازال هناك .. القدر ..

القدر الذى جعل مسدَّس (ماريو) يسقط على حافة الهاوية تمامًا ، حتى أن الفتاة (ماريانا) السريعة ، بعد التقاطها للمسدَّس ، جعلت قدميها تنزلقان على حافة الهاوية ، فطاشت رصاصتها فى الهواء ، وترنَّح جسدها ، وارتسم ذُعر هائل على ملامحها ، وطوَّحت ذراعيها فى الهواء ، و كأنها تحاول التشبث بشىء ما ، وقفز (أدهم) نحوها ، محاولاً إنقاذها ، ولقد تلامست أناملهما بالفعل ، إلّا أن جسد (ماريانا) اندفع فجأة إلى الخلف ، وانطلقت من حنجرتها صرخة رعب قوية ، قبل أن يهوى جسدها فى أعماق الهاوية السحيقة ..

وأغلقت (منى) عينيها فى ذُعر وألم ، وشعر (قدرى) بيد باردة تعتصر قلبه ، وأدار (أدهم) وجهه فى ضيق ، حتى صكّ مسامعهم صوت ارتطام جسد (ماريانا) بأعماق الهاوية ..

كان صوتًا خافتًا ، نظرًا للعمق الكبير ، إلّا أنه بدا فى آذانهم

كطلقة رصاص ، مرقت إلى جوار رءوسهم ، ثم ساد صمت عميق ، وكأنَّ على رءوسهم الطير ، حتى قطعه (أدهم) مغمغمًا :

— لقد تحطَّم رأس الأفعى .

غمغمت (منى) فى صوت باكٍ :

— يا للمسكينة !!

وأشاح (قدرى) بوجهه ، مغمغمًا فى ألم :

— لقد دفعت الثمن يا (منى) .. لقد أرادت قتلك ، ولكن القدر كان لها بالمرصاد .

أومأ (أدهم) برأسه فى هدوء ، وتمتم فى خفوت :

— نعم يا (أدهم) .. إنه القدر .

وتنهَّد ، قبل أن يردف فى عمق :

— القدر الذى كتب لنا النجاة من أفعى (برشلونة) .

★ ★ ★

ران على الثلاثة صمت ثقيل ، و (أدهم) يقود سيارة (ماريانا) إلى المطار ، حتى غمغمت (منى) :

— هل سنعود كلنا إلى القاهرة ؟

أجابها (أدهم) فى هدوء :

— لا يا عزيزتى .. ستعودين أنت و (قدرى) إلى القاهرة ، أمَّا أنا فما زالت أمامى مهمة أخيرة .

سألته فى توتُّر :

— أيَّة مهمة يا (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء شديد :

— (تيدى فولسونج) .

هتفت (منى) فى توتُّر :

— دَعْنا نعود إلى القاهرة يا (أدهم) ، وسنتولى أمر (فولسونج) فى مهمة أخرى .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

— لا يا عزيزتى .. إن (فولسونج) الآن على ظهر (عروس المتوسِّط) ، وهذه فرصة مثالية لجدع أنف (سكوربيون) ، وتحطيم مكتبها السياحى فى الوقت ذاته .

ثم ضحك فى سخرية ، قبل أن يردف :

— إنها مهمة سياحية يا عزيزتى .

★ ★ ★

١٠ ـ الراكب الأخير ..

لوَّح (أدهم) بكفِّه للطائرة، التى تقل (قدرى) و(منى)، فى طريقهما إلى القاهرة ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـ لو سارت الأمور على ما يرام ، فسنلتقى فى القاهرة مساء الغد يا رفيقىّ .

ووضع كفَّيه فى جيبى سرواله ، وأخذ يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، وهو يتجه إلى استعلامات مطار (برشلونة) ، ووقف أمام موظَّفة الاستعلامات هادئًا ، مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ أخبرينى يا سنيورا .. هل يمكننى استئجار هليوكوبتر ؟

ابتسمت وهى تسأله فى هدوء :

ـ بالطبع يا سنيور .. ما محطة الوصول ؟

أجابها فى هدوء :

ـ البحر المتوسِّط .

تطلَّعت إليه فى دهشة ، وهى تغمغم فى حَيْرة :

ـ إننى أقصد المكان الذى ستهبط فيه الهليوكوبتر ياسنيور .

أطلق (أدهم) ضحكة صافية ، وكأنه رجل لا يشغل عقله شىء ، وقال :

ـ يبدو أننى أربكتك يا سنيورا .

ثم مال نحوها ، مستطردًا فى جدِّيَة :

ـ إننى أحد المسافرين على متن (عروس المتوسِّط) ، ولقد أقلعت السفينة من دونى ، وأنا أريد هليوكوبتر تنقلنى إليها فى البحر .

ابتسمت الموظفة ابتسامة عريضة ، تنمّ عن ارتياحها البالغ ، وهى تقول :

ـ فى هذه الحالة نحن تحت أمرك يا سنيور .. ستكون الهليوكوبتر مستعدة بعد نصف ساعة فقط ، وستقلك إلى سطح (عروس المتوسِّط) فى أسرع وقت ممكن .

ابتسم (أدهم) ابتسامة بدت شديدة الغموض ، وهو يقول فى هدوء :

ـ نعم يا سنيورا ، فأنا فى أشد اللهفة للعودة إلى (عروس المتوسِّط) .

* * *

كان (تيدى فولسونج) يسترخى فوق مقعد قماشى وثير ، أمام حوض السباحة الأنيق ، على متن (عروس المتوسِّط) ، مرتديًا سروال استحمام قصيرًا ، يبرز كرشه الضخمة ، وهو

ينفث دُخان سيجاره الفاخر ، وينقّل بصره بين الحسناوات حول حوض الاستحمام ، حينما اندفع نحوه (هنريك) ، وهتف فى توتُّر واضح :

ــ مستر (فولسونج) .. لقد وصلتنا رسالة لاسلكية ، تقول إن أحد الركاب تركته السفينة فى ميناء (برشلونة) ، وأنه سيصل إلى هنا فى هليوكوبتر ، استأجرها بنفسه .

ابتسم (فولسونج) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إنه أمر شائع الحدوث يا عزيزى (هنريك) ، فكثيرًا ما يفقد السيَّاح إحساسهم بمرور الوقت ، أمام المعروضات الأنيقة ، فى الموانى التى تتوقف فيها (عروس المتوسّط) ، وكثيرًا كثيرًا ما تقلع السفينة وقد تركت أحدهم أو بعضهم .. صحيح أنهم يلحقون بنا فى الميناء التالى عادةً ، ولكن هذا لا يمنع أحدهم من اللحاق بنا على متن هليوكوبتر ، وهذا لا يستحق كل هذا التوتر الذى ....

قاطعه (هنريك) فى مزيد من التوتُّر :

ــ ولكن هذا الراكب يختلف يا مستر (فولسونج) .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

ــ إنه يدعى (أدهم صبرى) .

انتفض جسد (فولسونج) فى قوة ، كمن أصابته صاعقة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يهتف فى صوت متحشرج مختنق :

ــ ماذا تقول يا (هنريك) ؟.. هل أصابك الجنون ؟.. لقد تخلّصت دونا (ماريانا) من ....

وبتر عبارته بغتة ، مع تلك الغصة ، التى اختنق بها حلقه ، ومع شعوره بالندم الشديد ؛ لأنه لم يشاهد جثة (أدهم) بنفسه ، حينما أبلغه (ماريو) عن مصرعه ، ووجد نفسه يستطرد فى صوت حائر ، وفى لهجة مزعزعة ، تعجز عن إقناعه هو نفسه :

ــ لا يمكنه أن يعود من الموت .

قلّب (هنريك) كفَّيه ، وقال :

ــ هذا ما أبلغه قائد الهليوكوبتر لقبطان السفينة يا مستر (فولسونج) .

صاح (فولسونج) فى توتُّر :

ــ اطلب من القبطان أن يرفض هبوط الهليوكوبتر .

تنهَّد (هنريك) فى حَنَق ، وقال :

ــ هل نسيت أن طاقم السفينة يجهل كل شىء عن حقيقة

نشاطنا يا مستر (فولسونج) ؟.. لقد وجد القبطان اسم (أدهم صبرى) بين الركاب المتخلفين عن العودة ، فسمح للهليوكوبتر بالهبوط .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى بدا صوت الهليوكوبتر واضحًا ، وبدت وهى تقترب من السفينة ، وتلفت انتباه الجميع ، ثم تدور فوقها ، وتهبط فى هدوء ، لتستقر على سطحها ، و (فولسونج) يغمغم فى توتُّر :

ــ لعلها خدعة .. لعله رجل آخر يحمل نفس الاسم أو .....

وبتر عبارته فجأة ، حينما برز (أدهم) من داخل الهليوكوبتر ، وجذب انتباه الجميع بوسامته ، وابتسامته الهادئة الجذَّابة ، فى حين قبض (فولسونج) على ذراع (هنريك) فى قوة ، وهو يقول فى انفعال قوى :

ــ إنه هو يا (هنريك) .. لقد خدع دوننا (ماريانا) .. لقد خدعنا جميعًا .. إنه حىّ لم يمت .

ثم التفت إلى (هنريك) ، واستطرد فى صوت مبحوح من شدة انفعاله :

ــ لابدَّ أن يُقْتَل يا (هنريك) .. هل تفهمنى ؟.. لابدَّ أن يُقْتَل .

نقَّل (هنريك) عينيه بين (فولسونج) و (أدهم) ، ثم قال فى هدوء :

ــ نعم يا مستر (فولسونج) .. لابدَّ أن يلقى مصرعه .

ثم أردف فى صرامة :

ــ وقبل فجر الغد .

★ ★ ★

صافح القبطان (أدهم) فى هدوء ، وابتسم ابتسامة روتينية ، وهو يقول :

ــ مرحبًا بك مرَّة ثانية على متن (عروس المتوسِّط) يا مستر (أدهم) .. أرجو أن يكون تأخرك عن اللّحاق بنا خيرًا .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

ــ لقد كانت عملية بسيطة ، استغرقت وقتًا أطول من المألوف يا سيِّدى القبطان .

حافظ القبطان على ابتسامته الروتينية ، وهو يغمغم فى ضجر :

ــ حسنًا .. مرحبًا بك بيننا .

استدار القبطان يهم بالانصراف ، إلَّا أنه توقُّف فى دهشة ، حينما سأله (أدهم) بغتة :

ـ هل تعتقد أن وسائل الأمن هنا كافية ياسيِّدى القبطان ؟

استدار إليه القبطان فى دهشة ، وقال :

ـ بالطبع يا مستر (أدهم) .. إن وسائل الأمن على متن (عروس المتوسِّط) مضرب للأمثال .

ابتسم (أدهم) فى برود ، وهو يقول :

ـ هل تعنى أنه لو تعرَّضت السفينة للغرق مثلاً ، فهل يمكن أن ينجو كل ركَّابها ؟

هتف القبطان فى حماس وغضب :

ـ بالطبع .. إن قوارب الإنقاذ تكفى لحمل ضعف عدد الركاب ، وطاقم السفينة ، كما أن جهاز الإرسال الآلى يرسل إنذارًا لا يتوقَّف ، فى حال حدوث أى خطر و ....

قاطعه (أدهم) فى سخرية :

ـ شكرًا ياسيِّدى .. لقد طمأنتنى .. الآن يمكننى إغراق السفينة وأنا مطمئن .

حدَّق القبطان فى وجهه بدهشة ، ثم خُيِّل إليه أنه فهم النكتة ، فأطلق ضحكة عالية ، وقال فى مرح :

ـ هذا صحيح يا مستر (أدهم) .. يمكنك إغراق السفينة بلا قلق .

بادله (أدهم) الابتسام ، وغادر المكان فى هدوء ، وترك القبطان يتابعه فى حَيْرة ، وهو يقول ضاحكًا :

ـ ياله من شخص عجيب !! ويالها من مزحة عجيبة !!

وعاد يضحك فى مرح ، وهزَّ كتفيه فى لامبالاة ، ثم اتجه إلى حجرة القيادة فى هدوء .

وفى نفس اللحظة ، كان (هنريك) يتابع (أدهم) ببصره أيضًا ، وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة شرسة مقيتة ، وهو يغمغم فى صوت شديد الخفوت :

ـ امرح ما بدا لك أيها الشيطان المصرى ، فمع آخر دقات منتصف الليل ، سيخفق قلبك بآخر نبضاته ، تمامًا كما حدث مع (سندريلا)[*]

وضحك فى وحشية ، وهو يستطرد :

ـ إلى منتصف الليل أيها الشيطان المصرىّ .

★ ★ ★

(★) سندريلا : واحدة من القصص الشعبية الشهيرة ، التى تحكى قصة فتاة اضطهدتها زوجة أبيها ، وعاونتها ساحرة على حضور حفل الأمير ، واشترطت عودتها قبل منتصف الليل ، وإلا عادت ملابسها الأنيقة إلى وضعها الأول الرَّث .

١١ ــ رصاصة منتصف الليل

أشارت عقارب الساعة الأنيقة ، المعلّقة فى رَدهة (عروس المتوسّط) ، إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، حينما تسلّل (هنريك) إلى حجرة (أدهم) ، وقرع بابها فى هدوء . وهو يقول :

ــ خدمة السفينة يا مستر (أدهم) ، هل تحتاج إلى أيّة خدمات ؟

ولمّا طال انتظاره للجواب ، عاد يقرع الباب ، وهو يعقد حاجبيه ، قائلاً فى صوت اكتسب رنّة حادّة :

ــ هل من خدمة يمكننى تقديمها يا مستر (أدهم) ؟

كان الجواب الذى تلقّاه فى هذه المرّة هو الصمت المطبق ، فتلفّت حوله ، وأخرج مسدّسه من سترته ، ودفع الباب فى قوّة ، وقفز داخل الحجرة ، ثم لم يلبث أن تطلّع حوله فى حَيْرة ودهشة بالغتين ، حينما تبيّن أن الحجرة خالية تمامًا ، وتعلّق بصره لحظة بالنافذة المستديرة المفتوحة ، وغمغم فى توتُّر :

ــ أين ذهب بحقّ الشيطان ؟.. إننى أراقب حجرته منذ ولجها ، وهو لم يغادرها قط !!

وتقدّم من النافذة فى حذر ، وتطلّع منها إلى البحر المظلم ، ثم أعاد مسدّسه إلى سترته ، وهو يقول :

ــ مستحيل أن يكون قد خرج من النافذة ، فهى تبعد عن السطح ثلاثة أمتار ، والقفز من هنا إلى أعلى يحتاج إلى قدرة تفُوق البشر .

ثم عاد يتطلّع إلى الحجرة الخالية فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ــ ولكن أين ذهب ؟.. أين ؟

★ ★ ★

تعلّق (أدهم) بيُسراه فى قوّة ، فى جهاز الشفط القوىّ ، الذى ثبّته بجسم السفينة من الخارج ، وانهمكت يُمناه فى تثبيت قنبلة مغناطيسية دقيقة فى جانب السفينة ، بالقرب من منسوب المياه ، ثم غمغم فى سخرية :

ــ حاول أن تلتهم أكبر قدر من المتعة ، قبل أن تشير عقارب الساعة إلى تمام الثانية عشرة والنصف أيها الوغد (فولسونج)، فحينئذ ستبدأ المعمعة الكبرى ، التى ستحمل توقيع (أدهم صبرى) .

وتشبّث بجهاز الشفط ، ليرفع جسده إلى حاجز السفينة ، وتعلّق به فى قوة ، ثم رفع جسده إلى سطحها فى حَذَر ، وابتسم حينما لمح السطح الخالى ، فقفز فوقه ، وأنصت لحظة إلى الموسيقى الصاخبة ، التى ترتفع من حجرة الطعام ، وغمغم :

ـ لقد أعددت لرواد سفينتك برنامجًا رائعًا بالفعل يا (فولسونج) ، فلقد جذبتهم روعة الفرقة الموسيقية إلى حجرة الطعام ، فبقى السطح خاليًا تمامًا ، مما سمح لى بأداء مهمتى فى هدوء .

وعدَّل من حُلَّة السهرة الأنيقة التى يرتديها ، وأعاد خصلة نافرة من شعره إلى موضعها ، وهو يغمغم مستطردًا :

ـ وأعتقد أنك لن تمانع فى استمتاعى بالبرنامج الحافل ، قبل أن يتحطَّم كل شىء أيها الوغد الـ .....

وفجأة .. انبعث صوت مكتوم ، أعقبه أزيز جسم يشق الهواء فى سرعة ، ثم صوت ارتطام هذا الجسم بصدر (أدهم) ، فى موضع القلب تمامًا ، فترنَّح لحظة ، ثم سقط فى حوض السباحة ، وغاص إلى أعماقه ..

وبرز (هنريك) من ركن مظلم ، وأساريره تتهلَّل بفرحة الظفر ، وشهوة الشماتة ، وهو يغمغم فى انفعال :

ـ لقد نجحت فيما فشل فيه الآخرون .. لقد قتلت الشيطان المصرى .

★ ★ ★

كان الظفر يملأ قلب (هنريك) فى قوَّة ، حتى أنه لم يحاول

إخفاء مسدَّسه المزوَّد بكاتم للصوت ، وهو يهرع إلى حوض السباحة ، وينحنى محاولاً اختراق ظلمته ببصره ، وهو يهتف فى فرح :

ـ لقد انتصرت .. لقد قتلته .. قتلته .

وفجأة .. برز جسد (أدهم) من وسط المياه ، وقفز مخترقًا ظلمتها كشيطان مريد ، أو كشبح عاد من عالم الموتى ؛ ليقتصَّ من قاتله ، وشهق (هنريك) فى رُعب هائل ، وشعر بقبضة (أدهم) تمسك سترته ، وتجذبه إلى قاع حوض السباحة ، وحاول أن يصرخ فى ذُعر ، ولكن جسده غاص فى مياه الحوض الباردة ، وتحوَّلت صرخته إلى مجموعة من الفقاقيع الهوائية الضخمة ، وشعر بذراعه تلتوى خلف ظهره .. وبمسدَّسه يفلت ، ويغوص فى أعماق الحوض ، ثم شعر بذراع فولاذية تحمله إلى أعلى ، فشهق فى ألم وخوف ، واحتبست شهقته فى حلقه ، حينما رأى عينى (أدهم) الساخرتين ، تتطلعان إلى عينيه مباشرةً ..

فاضت عروق (هنريك) بالرعب والقهر ، وهتف فى صوت مختنق لاهث :

ـ مستحيل !!.. لقد أصابتك رصاصتى فى قلبك تمامًا .



برز جسد (أدهم) من وسط المياه ، وقفز مخترقًا ظلمتها كشيطان مريد ، أو كشبح عاد من عالم الموتى ؛ ليقتصَّ من قاتله ..

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ يبدو أن موعد مصرعى لم يحن بعد أيها الوغد ، ومن حسن حظى أنك أطلقت رصاصتك على القلب مباشرةً ، فلقد أنقذنى هذا ، بفضل زعيمك الوغد (فولسونج) .

جحظت عينا (هنريك) فى ذهول ، وهو يغمغم :

ـ (فولسونج) ؟!

وفى حركة سريعة ، أخرج (أدهم) ، من جيب سترته العلوية ، مفتاح حجرته الذهبى ، المعلَّق فى ميدالية معدنية ، ضخمة ، ارتسم عليها شعار (عروس المتوسِّط) ، واستقرت رصاصة (هنريك) فى وسطها ، وقال فى تهكُّم لاذع :

ـ لقد أحسن زعيمك الوغد اختيار تلك الميدالية ، فلو أن معدنها أردأ صنعًا ، أو أقل سمكًا ، لنفذت رصاصتك فى قلبى بالفعل .

هتف (هنريك) فى صوت أقرب إلى الانهيار :

ـ مستحيل !!.. إن شياطين الجحيم تقوم على حمايتك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الشياطين لا تحمى أحدًا أيها الوغد .

ثم هوَى بقبضته على فكِّ (هنريك) ..

★ ★ ★

تحرَّك (تيدى فولسونج) فى أرجاء حجرته بتوتُّر بالغ ؛ وتطلَّع إلى ساعته فى قلق ، وهو يغمغم ساخطًا :

ــ الثانية عشرة والثلث .. لو أن (هنريك) نجح فى مهمته ، لهرع إلى هنا ، وأبلغنى بنجاحه .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت دقات هادئة على باب حجرته ، فارتجف جسده الضخم ، واختنق صوته ، وهو يقول :

ــ من ؟.. من بالباب ؟

أتاه صوت (هنريك) يقول :

ــ إنه أنا يا مستر (فولسونج) .

أسرع (فولسونج) فى انفعال ، إلى باب حجرته ، ولكنه لم يكد يفتحه ، حتى شعر وكأن برودة القطب الشمالى كلها قد انصبَّت فى عروقه ، وحوَّلته إلى قطعة من الثلج ؛ فبدلًا من أن يطالعه وجه ربيبه (هنريك) ، كما كان يتوقَّع ، صدمته ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وحطَّمه صوته البارد ، وهو يقول :

ــ هل أدهشتك أيها الوغد ؟

اتسعت عينا (فولسونج) عن آخرهما ، وارتجفت أطرافه

فى قوَّة ، وكاد ينفجر بالبكاء ، حينما دفعه (أدهم) إلى الداخل ، وأغلق الباب خلفه فى برود ، وهو يستطرد :

ــ هل أعجبتك رحلة (عروس المتوسِّط) يا مستر (فولسونج) ؟

بذل (فولسونج) مجهودًا خرافيًّا، ليهتف فى صوت مختنق:

ــ ماذا تريد منِّى يا مستر (أدهم)؟.. إننى لم أفعل لك شيئًا.

رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول ساخرًا :

ــ عجبًا!!.. أراهن أنك لاتعرف أيضًا من يُدْعَى (بن كريم) ، ولا دونا (ماريانا) ، ولا هنريك) .

ثم قلَّب شفتيه فى أسف ساخر ، وهو يستطرد :

ــ إنك لن تأسف إذن لمصرع (بن كريم) ، ولا لمقتل دونا (ماريانا) ، ولا .....

قاطعه (فولسونج) ، وهو يصرخ فى ذُعر :

ــ دونا (ماريانا) ؟!.. هل قتلت دونا (ماريانا) ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ إننى لا أميل للقتل أيها الوغد .. لقد فضَّلت هى الانتحار ، فألقت نفسها فى الهاوية .

تصبّب عرق غزير على وجه (فولسونج) ، وارتسم الرعب بأبشع صُوَرِه فى ملامحه ، فى حين تطلّع (أدهم) إلى ساعته ، وقال فى هدوء :

ــ والآن تبدأ الحملة التأديبية ضدك أيها الوغد .

ولم يكد يختم عبارته ، حتى ارتجت السفينة بانفجار قوىّ ، ارتجفت له عروق (تيدى فولسونج) حتى الأعماق ..

* * *

تهاوَى (فولسونج) على ركبتيه ، وهتف فى انهيار :

ــ ماذا فعلت أيها الشيطان ؟.. ماذا فعلت ؟

بدت لهجة (أدهم) قاسية ، باردة ، وهو يقول :

ــ لقد رأيت أنك لا تستحق (عروس المتوسِّط) بكل فخامتها أيها الوغد ، لذا فقد قرَّرت إغراقها .

صرخ (فولسونج) فى غضب هادر :

ــ عليك اللَّعنة !! عليك اللَّعنة !!

وفجأة .. تألقّت عينا (فولسونج) ببريق عجيب ..

بريق لا يشبه ما يمكن أن يصيب رجلاً فقد سفينة بالغة الفخامة ..

بريق جعل (أدهم) يلتفت خلفه فى سرعة وقلق ، ورأى (هنريك) يقف على باب الحجرة ، والكراهية ترتسم فى كل خلجة من خلجاته ، وخنجرة الحاد يشق الهواء ، فى طريقه إلى قلب (أدهم) تمامًا .

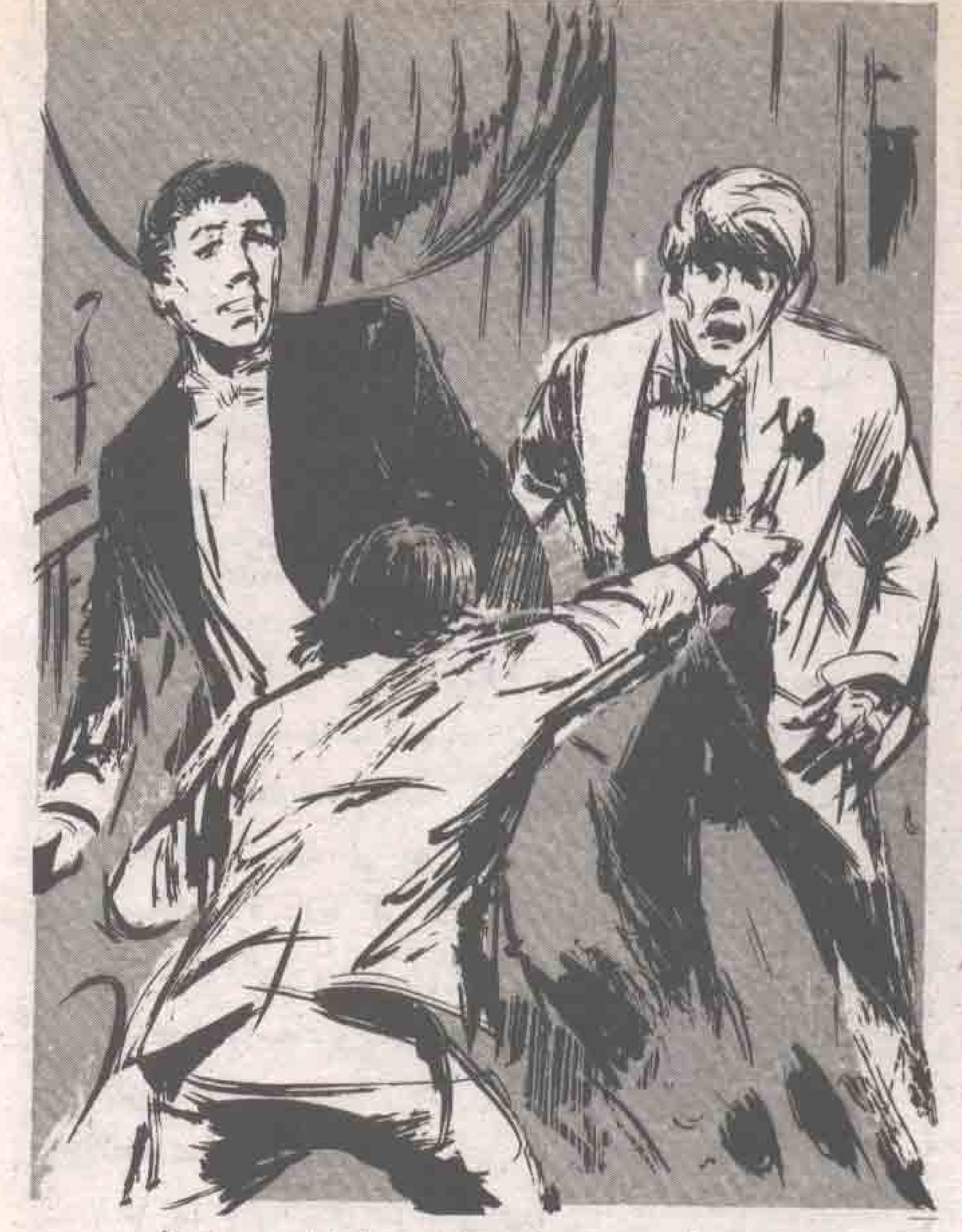
* * *

١٢ ــ حفل الشيطان ..

من الأسباب الرئيسة ، التى جعلت الموت يتخطى (أدهم صبرى) ، فى عديد من المواقف البالغة الخطورة ، هى تلك الموهبة الخارقة ، التى حباه بها الله (سبحانه وتعالى) والتى تعرف علميًّا باسم (سرعة الاستجابة العصبيّة ــ العضلية) ، والتى تجعله يفكِّر ، ويتخذ القرار ، وينفذّه فى وقت قياسىّ ، يبلغ ربع الوقت اللازم لأىّ إنسان عادىّ ..

ولقد كان هذا هو سبب نجاة (أدهم صبرى) فى هذه الليلة ..

لقد التقطت عيناه مشهد الخنجر الحاد ، الذى يندفع نحوه فى سرعة ، وأرسلت أعصابه البصرية المشهد إلى مخه ، الذى اختزنه فى سرعة مذهلة ، وراجعه مع عشرات المواقف والخبرات السابقة فى جزء على مائة من الثانية الواحدة ، ثم أرسل إشارة فائقة السرعة إلى العضلات ، التى استجابت كالبرق ، فانحنى (أدهم) ، ومال جانبًا ، وترك الخنجر يمرق إلى جوار رأسه ، ويتجاوزه ، ولم يحاول الالتفات لمعرفة سرّ تلك الحشرجة المؤلمة ، التى تشبه خوار ثور صريع ، والتى انطلقت من حنجرة (تيدى فولسونج) ، بل قفز نحو (هنريك) ، الذى صرخ فى ذهول :



فانحنى (أدهم) ، ومال جانبًا ، وترك الخنجر يمرق إلى جوار رأسه ، ويتجاوزه ، ولم يحاول الالتفات ..

ــ مستحيل !!

ثم انحنى إلى الأمام ، إثر لكمة قوية ، غاصت فى أحشائه ، وعاد يعتدل مع لكمة ثانية حطمت أنفه ، وضاع دويُّها مع انفجار القنبلة الثانية ، وارتجاج (عروس المتوسِّط) القوىّ ، وصراخ روَّادها ، وهم يتدافعون خارج حجراتهم ، ينشدون النجاة من حفل الشيطان ..

وسقط (هنريك) عند قدمى (أدهم) فاقد الوعى ، واستدار (أدهم) إلى (فولسونج) ، وعقد حاجبيه فى ضيق ، حينما رأى خنجر (هنريك) ، المغروس فى عنق زعيمه ..

وأسرع (أدهم) إلى (فولسونج) ، الذى يلتقط أنفاسه الأخيرة فى صعوبة ، وقد جحظت عيناه فى ألم ، وقال (أدهم) فى اهتمام :

ــ لا تتحدَّث يا (فولسونج) .. حاول أن تدَّخر قواك لـ .....

قاطعه (فولسونج) بضحكة مريرة، وهو يقول فى ضعف:

ــ عجبًا لك أيها الشيطان !!.. أتفعل بى كل هذا ، ثم تحاول إنقاذ حياتى ؟

غمغم (أدهم) فى ضيق :

— لو أنك تتصوَّر أننى أهوى القتل ، فأنت مخطئ يا (فولسونج) ، فالقتل شىء بشع بغيض ، وأنا لا ألجأ إليه إلا مضطرًّا .

أطلق (فولسونج) ضحكة متحشرجة ، وثقل جفناه ، وهو يغمغم فى ضعف شديد :

— تبًّا لك أيها الشيطان .. تبًّا لك ولمنطقك المتناقض العجيب .

وحاول أن يطلق ضحكة أخرى ، ولكن عينيه جحظتا فى قوة ، واحتبست أنفاسه فى صدره ، ثم لفظها ، وتحوَّل إلى جثة هامدة ، خالية من الروح .

نهض (أدهم) فى بطء ، وغمغم :

— صدِّقنى أيها الوغد .. إننى أبغض القتل .

وارتجت السفينة إثر انفجار القنبلة الثالثة ، فانتزعته من توتُّره ، والتفت إلى (هنريك) الفاقد الوعى ، وقال :

— نعم يا (هنريك) .. إننى أبغض القتل دون مبرِّر .

وحمل جسد (هنريك) فوق كتفه ، وأسرع يحاول الفرار من خاتمة حفل الشيطان ..

★ ★ ★

شمل التوتُّر والاضطراب كل شبر على سطح السفينة ، وتدافع روَّادها فى رعب ، يحاولون الهبوط إلى زوارق الطوارئ ، التى غمرت سطح البحر ، فى المنطقة المحيطة بالسفينة ، ووقف القبطان ورجاله يحاولون تنظيم الموقف ، وسط الاضطراب البالغ ، وهتف أحد ضباط (عروس المتوسِّط) :

— إنها عملية تخريب ولاشكَّ .. أين مستر (فولسونج) ؟

هتف القبطان فى صرامة :

— الجميع يتساوُون أمام الخطر أيها الضابط ، سنعاون الركاب على النجاة أولاً ، ثم نذهب للبحث عن مستر (فولسونج) .

صاح الضابط فى اضطراب شديد :

— ولكن من فعل ذلك ؟.. لقد اختار مواضع القنابل فى دقة مذهلة ، بحيث يصبح إنقاذ السفينة من الغرق مستحيلاً ، وفى نفس الوقت لا يصاب أىّ من ركابها بأذى ، باستثناء حالة الذعر الهائلة .

قفزت صورة (أدهم صبرى) فجأة إلى ذهن القبطان ، واستعاد عقله حديثهما العجيب ، فغمغم فى غضب :

— ليس المهم أن نعرف مَنْ أيها الضابط .. المهم أن نتمكَّن من إثبات ذلك .

وفى تلك اللحظة هتف الضابط ، وهو يشير إلى ركن السفينة :

ـــ يا إلٰهى !! انظر ياسيِّدى .

التفت القبطان إلى حيث يشير الضابط ، واتسعت عيناه فى دهشة ، حينما رأى (أدهم) يسرع إلى حيث يقفان ، وهو يحمل (هنريك) الفاقد الوعى فوق كتفه ، وهتف به القبطان فى توتُّر :

ـــ أين مستر (فولسونج) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء عجيب ، لا يتفق مع الموقف العصيب :

ـــ لقد لقى مصرعه .

ثم أسرع يستطرد فى لهجة آمرة ، صارمة :

ـــ هل نجا الجميع ؟

هتف القبطان :

ـــ كل الركاب وطاقم السفينة فى قوارب النجاة ، لم يبق سوانا .

صاح (أدهم) بنفس لهجته الآمرة :

ـــ هلُمَّ إذن .. قبل أن تغوص (عروس المتوسِّط) إلى أعماقه .

قفز القبطان وضابطه إلى قارب الإنقاذ الأخير ، وتبعهما (أدهم) بحمله ، فى نفس اللحظة التى دوَّى فيها الانفجار الرابع ، وانطلق صوت ـــ عَبْر مكبِّرات الصوت ـــ يقول فى لهجة مرحة :

ـــ مرحبًا بكم على متن (عروس المتوسِّط) .. أفخر سفينة سياحية فى العالم .. تبدأ رحلتنا ..

غمغم القبطان فى حَنَق :

ـــ إنها الأسطوانة الآليَّة .. لقد أدى الانفجار إلى تشغيلها .

هتف به (أدهم) :

ـــ فلتذهب الأسطوانة إلى الجحيم .. المهم أن نبتعد من هنا ، قبل أن تجرفنا الدوَّامة التى ستنشأ من غرق السفينة ، فنلحق بها إلى الأعماق .

أسرع الضابط يشغل محرِّك الزورق ، ليبتعد عن السفينة ، التى غاصت مؤخرتها فى البحر ، وارتفعت مقدِّمتها على نحو مخيف ، ثم بدأت تغوص ، فى حين تعلَّقت بها أنظار روَّادها ، ووجوههم الشاحبة ، من زوارق الطوارئ ، فى نفس الوقت الذى ارتفع فيه صوت الأسطوانة الآلية المرح ، يهتف :

ـــ ستكون رحلة لن تنسوها .. لن تنسوها أبدًا .

* * *

١٣ ــ الختام ..

« لقد تجاوزت حدودك هذه المرّة يا (ن ــ ١) .. تجاوزتها تمامًا » .

صرخ مدير المخابرات المصرية بهذه الكلمات فى وجه (أدهم صبرى) ، الذى بدا هادئًا ، وهو يقول :

ــ ولكنها لم تكن مهمة رسميَّة ياسيِّدى .. لقد كانت عملية خاصَّة .

صاح مدير المخابرات فى غضب :

ــ لا توجد عمليات خاصَّة ، بالنسبة لمن يعمل فى المخابرات العامة يا (ن ــ ١) ، لقد تلقَّيت تدريباتك هنا ، ونصف خبراتك على الأقل مكتسب من هنا ، وهذا يجعلنا أصحاب حق فى كل شىء تفعله .

غمغم (أدهم) فى ضيق :

ــ إلّا حياتى الخاصة ياسيِّدى .

صاح المدير فى حَنَق :

ــ حياتك الخاصة ؟!.. هل تسمِّى ما فعلته حياة خاصة أيها المقدّم ؟.. لقد هاجمت منظمة تجسُّس قوية ، وحاربت واحدة من ملكات الجريمة فى (إسبانيا) ، وتطلق على هذا اسم حياتك الخاصة ؟!

ثم زفر فى قوة ، وربَّت على كتف (أدهم) فى حنان أبوىّ ، وهو يستطرد :

ــ ليس من حقك أن تلجأ إلى الانتقام الشخصى يا (أدهم) .. كُفّ بالله عليك عن أداء دور (الكونت دى مونت كريستو) .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ لقد أعجبتنى جدًّا شخصية (إدموند دانتس) فى رواية (ألكسندر دوماس) ياسيِّدى، ولو أننى فى موقع (دانتس)، لفعلت ما فعله فى (الكونت دى مونت كريستو) .

مطَّ مدير المخابرات شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ــ ولكن (دانتس) لم يشعر بالسعادة بعد أن حقَّق انتقامه يا (أدهم) ، فالانتقام أمر بشع ، لا يربح صاحبه أبدًا فى النهاية .

وعاد يتنهَّد ، وهو يردف :

ــ لقد أعماك الانتقام، حتى أنك نسيت الأبرياء.. ألا تدرى ما فعلته برؤاد (عروس المتوسِّط)، حينما فجَّرت السفينة.

هتف (أدهم) فى انفعال :

ــ لقد وزَّعت القنابل بحيث لا تؤذى أحدًا ياسيِّدى .

صاح المدير فى حنق :

ــ وهل نسيت متاعهم ، ونقودهم ، وحُليهم التى تركوها خلفهم من شدة الفزع ؟.. صحيح أنهم لم يفقدوا أرواحهم ، ولكنهم فقدوا الكثير يا (أدهم) .

شعر (أدهم) بكلمات مدير المخابرات تمزّق شيئًا ما فى أعماقه ، وتبعث فى نفسه شعورًا بالندم ، لم يراوده أبدًا من قبل ، حتى أنه غمغم فى خفوت :

ــ إننى لم أفكّر فى هذا فى الواقع ياسيِّدى .

تنهَّد المدير فى ارتياح ، وقال :

ــ هذا ما يفعله بنا الانتقام يا (أدهم) .. إنه يحوِّل المرء إلى جواد برىّ جامح أعمى ، يطأ كل شىء فى طريقه بلا رحمة أو تفكير ، فى سبيل الوصول إلى هدفه ، ولقد منحك الله (سبحانه وتعالى) قدرات متميِّزة ، وعليك ألا تستخدمها إلّا فى الحقّ والعدل ، وإلّا تحوّلت من نعمة إلى نقمة .

أطرق (أدهم) برأسه ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح يا سيِّدى .

ابتسم المدير فى ارتياح ، وقال :

ــ الآن فقط يمكننى أن أطمئن عليك يا(رجل المستحيل) .

لم يكد المدير يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فالتقط سمَّاعته ، واستمع فى هدوء ، ثم ابتسم وهو يناولها لـ(أدهم) ، قائلاً :

ــ إنه شقيقك الدكتور (أحمد صبرى) ، لقد اتصل بك فى مكتبك ، فحوَّلوا المكالمة إلى هنا .

التقط (أدهم) السمَّاعة فى لهفة ، وقال :

ــ أنا (أدهم) يا (أحمد) .. كيف حالك ؟

أتاه صوت شقيقه ، عَبْر أسلاك الهاتف ، يهتف فى لهفة مماثلة :

ــ كيف حالك أنت يا (أدهم) ؟.. لقد قرأت أخبار غرق (عروس المتوسِّط) ومصرع (فولسونج) المسكين ، ولقد خشيت أن .....

قاطعه (أدهم) فى لهجة ضاحكة :

ــ لم يكن (فولسونج) مسكينًا يا صديقى ، لقد كان يستحق هذه النهاية .

هتف الدكتور (أحمد) فى دهشة :

ــ كيف ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـــ سأقصّ عليك كل شيء يا أخى العزيز .. سأقص عليك قصة (رحلة الهلاك) ، وما حملته من صراعنا مع (أفعى برشلونة) .. سأقص عليك القصة كلها يا شقيقى الوحيد .

وابتسم مدير المخابرات فى حنان ، وغادر مكتبه فى هدوء ، وهو يغمغم :

ـــ يالك من جواد برىّ جامح حقًا يا (رجل المستحيل) !!

•

[تمت بحمد الله]

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٣٦١٩